روايات
عالمية
للفتيان

اطفال مزرعة الصفصاف

انيد بلايتون

ترجمة: نعيم بدوي



اطفال مزرعة الصفصاف

تأليف : أنيد بلايتون

ترجمة : نعيم بدوي

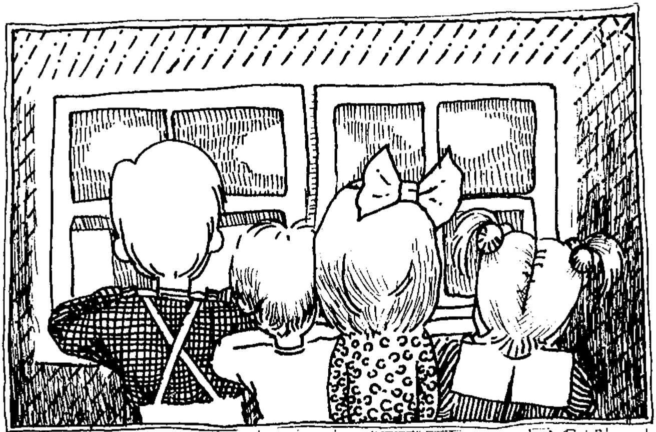
اطفال مزرعة الصفصاف
انيد بلايتون
نعيم بدوي
الطبعة العربية الاولى ١٩٨٩

الناشر: وزارة الثقافة والاعلام ـ دار ثقافة الاطفال
العراق ـ بغداد ـ بريد ٨ شباط
ص ـ ب ٨٠٤١

سلسلة روايات عالمية للفتيان
تصدر عن قسم النشر في دار ثقافة الاطفال
المدير العام: فاروق سلوم
سكرتير تحرير السلسلة: فاروق يوسف

اطفال

مزرعة الصفصاف



- وداعا يا لندن -

في يومٍ خريفي عاصف ، نظرَ الاطفال من خلال نـافذة بيت مستطيل فشاهدوا ثلاث شاحنات ضخمة تتقدم نحـو الفناء الخارجي .

فصاح روري «وأخيراً وصلت .»

وقـالت پيني «وبدأ التحـرك» ، واخذت تتـراقص لدى

النافذة .

وعندها قالت شيلا «أليس مبهجاً رؤية أثاثنا يحُمل في تلك الشاحنات !»

فقال بينجي مندهشاً «لم اكن اظن اننا سنحتاج الى ثلاث شاحنات» .

وهنا قالت شيلا «أوه ، هنالك ثلاث أُخر تتبعها أيضاً ، يا آلهي ـ اليس جميلاً الظن بأننا ذاهبون الى مزرعة الصفصاف ! مزرعتنا نحن ، مزرعةٌ جميلةٌ كمزرعةِ شجرةِ الكرز .»

قال بينجي «بل أجمل ، أجمل بكثير ، ففيها جداول اكثر وهي فوق تل بحيث سيكون لنا منها منظرٌ بديع ، وليست كمزرعة شجرة الكرز في منخفض من الارض .»

كان الاطفال الاربعة سعداء حقاً . فهم في العام الذي مضى كانوا جميعاً مرضى ولهذا أُرسلوا ليقضوا بضعة شهور في مزرعة عمهم . وقد طابت الحياة لهم هناك ، وشبوا اقوياء ، موردي الوجنات . ثم ، حين آن الوقت للعودة الى بيتهم في لندن وجد والدهم ان عمله غير مجزٍ ـ فاقترح عليه العم «تيمْ» ان يستثمر أمواله في مزرعة الصفصاف ، على بعد خمسة أميال من مزرعته ، ويتخذ من الزراعة وسيلة للعيش .

كان والد الاطفال قد نشأ من قبل في مزرعة وعرف كيف يدير واحدة ، وجُنَّ الاطفال مسرورين بالفكرة ـ وها هي ذي قد أزفت أخيراً ! انهم راحلون جميعاً الى مزرعة الصفصاف هذا الاسبوع بالتعيين !

استغرق شراء المكان وتدبير كل شيء فيه ثلاثة اشهر ، أُرسل خلالها الولدان روري وپينجي الى مدرسة داخلية ، وقد عادا الان مع الوقت للتحرك مع الابنتين شيلا وپيني ، وكانت امهم مشغولة بحزم الأمتعة والجميع يساعدونها ، فلقد كان الأمر شيئاً بهيجاً .

قال روري «أُحب لندن حين يكون الأمر رؤية تمثيلية او مشاهدة سركس ، ولكن العيش في الريف خير من ذلك .

قالت پيني «وأنا أشتاق فقط لرؤية تاميلان مرة اخرى ، الا تسرهُ رؤيتنا ؟» .

كان تاميلان صديقهم العظيم وهو رجلٌ غريب الاطوار يعيش في كهف لدى التلال خلال اشهر الشتاء ، وفي الصيف في كوخ من اغصان شجر الصفصاف . كان يسمى «الرجل الوحشي» لانه كان يعيش وحيداً مع الحيوانات والطيور وكان اكثر الناس يخافونه ، ولكنه كان اعظم صديق للأطفال . علمهم أَشياء عن الطيور وعن الحيوانات في المنطقة ، فهم الان اكثر معرفة بالكبير والصغير من المخلوقات من اي طفل

في المملكة .. ومن الروعة اذن رؤية تاميلان مرة اخرى .

أظهرت الام رأسها من خلال الباب وقالت «حان الوقت لتهيئوا أشياءكم ، فالوالد سيأتي بالسيارة . وَدعّوا كل ركنٍ وكل زاوية هنا قد الفتموها منذ أن كنتم رضّعاً ـ لانكم لن تروها مرة ثانية !»

كانت العائلة ستسافر في سيارة والشاحنات تتبعها وكانت الام تريد منهم أن يكونوا جاهزين حين تأتي المركبات .. ونظر الاطفال الى بعضهم البعض .

فقال پينجي «أنا مسرور لمغادرة المكان ، ولكن كانت لنا اوقات جميلة في هذا البيت اللندني المستطيل .» قال ذلك وخرجَ من الغرفة .

وقال روري «لقد ذهب پينجي ليودع اشجار الدُلْب التي كان يستطيع مشاهدتها من نافذة غرفته . فلقد كان يحبها ..»

كان ذلك حقاً فقد انحنى پينجي ومد رأسه من نافذة غرفة نومه ونظر الى الاشجار وقال :

«وداعاً ، لقد عرفتك منذ احد عشر عاماً ، وأنت رائعة طوال السنة ! والان احبك مجُردة من الأَغصان ، أُحبك حين تبدأين بالايراق ، واوراقكِ الخضرُ تلتمع تحت أشعة الشمس . احبك في الصيف حين تزداد الخضرة وتتكثف ،

احبك في الخريف حين تصفرين وتُسقطينِ أوراقَكِ .

وداعاً يا أَشجار الدُلْب ! انني ذاهب الى حيث لا توجد اشجاردلب بل صفصاف ،صفصاف ،صفصاف ،نابت في كل ناحية حول ضفاف الجداول الفضية .»

صَفت اشجار الدلب بفعل الريح كما لو أنها تهمس لبينجي مجيبةً ؛ فسحب رأسه واحس بحزن فهو لن ينسى اشجار لندن تلك ـ وسيتذكر على الدوام السناجب الرمادية التي كانت تتسلق الاغصان هابطة صاعدة ..

وذهبت شيّلا تودع كل غرفة ، وقالت لروري وكان معهما «انا لا أُريدُ أَن انسى اي شيء فأنا احب أَن أَتذكر بيتنا الأَول هذا ولو انني سأُحب بيتنا الثاني اكثر فأكثر ، وداعاً يا غرفة الاستقبال وانت تبدين مضحكة الان وقد خلوت من الاثاث ! وداعاً ايها المكتب ، ولن انسى كم قد تسللت اليك لآخذَ كتاباً اقرأه ! وداعاً يا غرفة الطعام ، التي لم احبها كثيراً لعتمتها !»

وبقيت بيني ذات السنوات السبع في حجرة نوم الاطفال ، الحجرة التي عرفتها اكثر من الجميع وهي الان لا تدعى غرفة الحضانة بل تعرف بانها غرفة الدرس ، لانها الغرفة التي كانت تلعب بها البنتان مع مربيتهما ، لقد كانت بيني تحبها كثيراً .

تقرّت يداها ورق الجدار بلمسة عاطفة . وكانت الحجرة قد كُسيت بورق جديد من اجل بيني منذ سنين أربع . وكانت هي التي اختارت بنفسها نوع الورق كما كانت تعرف عليه كل صورة شخص وكل حيوان ، وكل شجرة وكم من مرة نظرت الى «جاك وجل» وهما يصعدان نحو التل ، وكم قد عجبت ! كيف صار من الممكن ان يتسع حذاء «المرأة العجوز» لكل اولئك الاطفال الذين يلعبون حولها !

فتحت خزانة الالعاب وكانت مقامة في الحائط ونظرت في داخلها . انها الان فارغة ، فجميع الدمى قد وضعت في الصناديق ، وكانت هناك رفوف لتوضع عليها القطارات والقرميد واللعابات .

قالت بيني «اودلو انك معنا تأتين ! لقد احببتك على الدوام ، وكنت في كل صباح وبابتهاج واثارة افتح ابوابك وارى العابي وهي تنظر الي . وكان شيئاً بهيجاً الزحف الى داخلك واغلاق الباب والتظاهر بأنني دمية ايضاً» .

كانت بيني طفلة العائلة وكان روري صبياً كبيراً فهو الان في الرابعة عشرة من عمره ، اسود الشعر ، بني العينين . وكانت شيلا في الثالثة عشرة معقوصة الشعر جميلة ، وكان پينجي ، پينجي الحالم ، الذي يحب ويفهم جميع المخلوقات الوحشية بشكل جيد اصغر من روري بعامين ـ ثم تأتي

بيني . وهي اصغر منه بثلاث سنوات ! وكانت تحاول أن تبدو شابه ليشركها الاخرون بأسرارهم ويأخذوها معهم ، ولكن ذلك كان صعباً في بعض الاحيان .

نظرت في ما حولها ، وكانت وحدها ، بينما كان روري وشيلا يودعان كل غرفة بالتتالي وكانت تسمعهم وهم الان في غرفة المؤونة وشيلا تخاطب روري : «هل تتذكر كيف كنا نعد الشقوق في السقف حين كان كلانا هنا مصابين بالحصبة ؟ كان في تلك الزاوية شق يبدو كأنه دب ذو قرنين ، انظر ، ها هو ذاك ...»

سمعت بيني الاثنين يتحدثان ونظرت الى خزانة الالعاب . هُل ستتنسل الى داخلها لآخرِ مرة ، وتحاول التظاهر بانها دمية ؟ لن يعلم بها احد وهكذا حشرت نفسها الى الداخل ولم يكن ذلك يسيراً الان كما كان الامر من قبل لانها قد كبرت ، ثم اغلقت الباب من خلفها وحدقت من خلال الشق ـ وظهر لها للتو بأنها في الثالثة او الرابعة من العمر مرّة ثانية ..

قالت لنفسها «انا دمية كبيرة . اختلس النظر خلال شق في الباب نحو الاطفال وهم يلعبون في بيت الحضانة ، ما ألذَّ هذا الشعور !»

وقبل ان تتمكن من الخروج من الخزانة دخل پينجي الى الغرفة ونظر في ما حواليه . اين الاخرون ؟ وصاح «شيلا !

روري ! اين انتم ؟ بيني !» لم تجب بيني لانها كانت خائفة من ان يقال لها انك طفلة ، فبقيت هادئة كفأرة داخل الخزانة .

جاء الاخرون يجريان وحمل الجميع المعاطف والقبعات العائدة للجميع . وقالت شيلاً «تقول أمي ان علينا ان نأتي في الحال . ها هي ذي اشياؤك يا بينجي . اين بيني ؟ الى اين ذهبت الان ؟»

لم تتحرك بيني ، بل رنت من الشق ، وكان مسلياً ان تشاهدهم من خلال شق ضيق ، حيث يبدون مختلفين بعض الشيء .

ارتدى الاطفال الثلاثة معاطفهم ودخلت الام وقالت : «هل انتم جاهزون ؟ اين بيني ؟» لم يعلم احد اين هي ، قالت الام «يا عزيزتي الى اين ذهبت ؟»

شعرت بيني بالخوف في الحال من انهم سيسافرون من دونها فدفعت الباب ونظرت الى الخارج ، وكاد بينجي يخرج من طوره مندهشاً .. «أنا هنا» قالت بيني بصوت ضعيف . وضحك الجميع ، فالكل كان على علم بحيل بيني القديمة في الانسلال داخل خزانة الالعاب والتظاهر بانها دمية . وكانت شيلا على وشك ان تطلق عليها اسم طفلة حين شاهدت وجه

بيني المحمر خجلاً فتوقفت . قالت وهي تأخذ بيدها «تعالي ، فالوالد بالانتظار اسرعي يا بيني !»

شقت بيني طريقها الى الخارج وارتدت معطفها وهي صامتة . ونزل الاطفال جميعهم الى الاسفل ، واقدامهم تقرقع عالياً فوق السلالم العارية . وبدا البيت غريباً غير محبب لانه سيعود في القريب الى شخص اخر غيرهم .

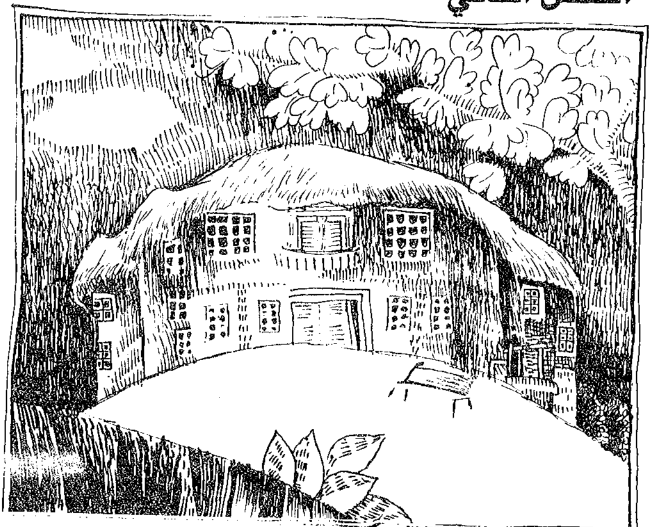
ازدحموا في السيارة ، ونظر الاب والام نحو البيت المستطيل متذكرين أشياء كثيرة . لقد مرت عليهما هنا اوقات سعيدة ، فهنا قد شب الاطفال ومن المحزن المغادرة ، ولكن كم هو سعيد الذهاب الى بيت ريفي جميل مقام فوق تل .

اشتغل محرك السيارة ، ورحلوا !

«وداعاً !» صرخ الاطفال ملوحين بأكفهم نحو البيت . «قد نعود ونراك في وقت ما في المستقبل . وداعاً اننا راحلون الى مزرعة الصفصاف ، مزرعة الصفصاف ، مزرعة الصفصاف !»

وهكذا غادروا مارين بشوارع لندن وهم في طريقهم الى حياة جديدة هناك في قلب الريف .

الفصل الثاني



- مزرعة الصفصاف -

ليس هناك امر اكثر اثارة من انتقال البيت . فكل شيء غريب ومثير ومنقلب رأساً على عقب . فالسلالم تبدو على غير حالها ، والوجبات تتناول في اي مكان وفي اي الاوقات . والاثاث متراكم في مواقع شاذة ، والنوافذ كأنها عيون محدقة بلا حواجب بسبب عدم وجود الستائر .

كان ذلك هو الحال في مزرعة الصفصاف حين انتقلت الاسرة اليها وخيل لپيني انها اكثر من ان يعبر عنها

بالكلمات . كان كل شيء يثير الضحك ، فقد كان بهيجاً الاندفاع خلال الممتلكات المختلفة نحو مزرعة الصفصاف . وكان من المفرح المرور بمزرعة شجرة الكرز في طريقهم والتوقف بضع دقائق للحديث مع العم «تيم» والخالة «بيس» .

«هلا تتخلصون من الاطفال لبضعة ايام فتدعوهم معنا» قالت الخالة ، ولكن الاطفال لم يبتسموا لفكرة البقاء في مزرعة الكرز المحبوبة ..

وقد ظهر عليهم الفزع وهنا ضحكت الام وقالت «انظري اليهم . كلا ، شكراً ، لكن يا بيس العزيزة ـ انهم يتطلعون الى السكن في مزرعة الصفصاف . حقاً ، انهم سيعترضون سبيلي ويتعثرون في قدميَّ ـ ولكن ...»

«لا يا امي ، لن نفعل ذلك» صاحت بيني . ثم شاهدت بريقاً في عيني امها فضحكت .

قال بينجي «بيس ، أيتها الخالة ، نحن نحب مزرعة شجرة الكرز ، لكننا لن نضيع فرصة الوصول الى مزرعة الصفصاف ،ـ مزرعتنا الخاصة ـ هذا اليوم مقابل الدنيا باجمعها !»

وسأل روري «هل شاهدتم تاميلان في المدة الاخيرة ؟» فقالت الخالة «الرجل المتوحش ؟ـ اجل ـ قد شاهدناه في

الاسبوع الماضي ، أليس كذلك ؟ اراد ان يعرف وقت مجيئكم ، وقال انه يسره رؤيتكم جميعاً مرة ثانية» .

فقال پينجي فرحاً «أوه ، حسناً ، لقد احتفظ معه بسنجابي . احتفظ به لي حين كنت في المدرسة ، واحب ان ارى سنجابي سكامپر ثانية ..»

قالت الام «حسناً يجب ان لا نلبث اكثر فوداعاً ياتيم وياپيس. وسنعود اليكم يوماً ما ونطلعكم على ما يسير من امورنا».

ساروا في الأزقة حيث كانت الحواجز قد بدأت تورق هنا وهناك.. وبقلة الخطاطيف ظهرت تبتسم ووجهها اللامع يواجه الشمس. وازهار الربيع تنتصب بين اوراق خضر. انها بداية الربيع حقاً.

استدارت السيارة وواجهت تلاً مستديراً. كان هناك منظر بيت ريفي من قرميد احمر، له سقف من قش، كما هي الحال في مزرعة شجرة الكرز، اعطاه لوناً ذهبياً قهوائياً لانه سُقِّفَ حديثاً لمالكيه الجدد..

«مزرعة الصفصاف!» صرخ روري، ووقف في داخل السيارة . «مزرعة الصفصاف ، مزرعتنا !» احمّر پينجي مسروراً ونظرت شيلا صامتة . ودمدمت پيني دمدمات قصيرة الواحدة بعد الاخرى .

وحدق الاطفال جميعاً بفخر وسرور ببيتهم الجديد .

كان موقعاً رائعاً ، له ثلثمائة عام من القدم ، طويلاً ومتعرجاً ، بمداخن غريبة طويلة وبعوارض قهوائية تقوم في الجدران .

كانت النوافذ ذات أطر رصاصية وعلى كل منها مصراع أخضر ، وكان الباب الامامي مصنوعاً من بلوط ثقيل بني اللون تعلوه شرفة تثير الاستغراب مسقفة بالقش ، وتحتها مصطبة عتيقة . وكان على مقربة منها البئر القديم .

ولم يكن الماء فيه مستعملاً الان ، ولكن في الايام السابقة كان به دلو يهبط ويرتفع .

دخل الجميع مسرورين يتحدثون ويعجبون فلقد كان المكان نظيفاً لماعاً لان امرأتين قرويتين كانتا قد مسحتاه وفركتاه . وكانت النوافذ تلتمع وكذلك القاعة ايضاً . اما الخزانات البلوطية المقامة في الجدران فعتيقة مصقولة .

«أمي ! لهذا البيت الريفي احساس محبب سعيد» . قال بينجي وهو يدس ذراعه بذراع أمه «لقد كان الناس سعداء هنا ، كما احس بذلك !»

ولعلهم كانوا كذلك ، كان جميلاً ان يقفوا هناك ويحسوا بسعادة البيت القديم حولهم وظهر انه مسرور بوجودهم فرح بالترحاب بهم .

قالت شيلا «يحُس في بعض البيوت باحساس كريه . أَتَذكَرُ مرة اني ذهبت لأزور بعضهم في بيتٍ قديم على ساحل البحر يا أمي ـ وكنت اود مسرورة لو اني اخرج منه ، لقد شعرت بالتعاسة ، ولكن بعض البيوت مُطمئنة وودودة كهذا البيت .»

«اجل ، أظن ان الناس قد احبوا مزرعة الصفصاف كثيراً وانهم قد عملوا باجتهاد بالغ وكانوا سعداء .» قالت امهم ـ احسب اننا سنعمل جاهدين ايضاً لنجعل المزرعة مجزية ، وانتم تعرفون ذلك ايها الاطفال ، لذا علينا ان يقوم كل بقسطه في العمل .»

قال روري «بالطبع ، فأنا سأعمل كأي واحد ، فلقد تعلمت الكثير في مزرعة العم في العام الماضي ، اقول لك ذلك !» بينما قالت بيني وهي تجري نحو السلالم «لنذهب في جولة في البيت» . وصعدوا الى منبسط سلم واسع ، كان هناك سبع غرف عُليا ، واحدة كبيرة جميلة سيتخذها الابوان لهما . وواحدة كبيرة لالعاب الاطفال الخاصة ، وغرفة صغيرة لروري ، واخرى صغيرة لبينجي ، واخرى اكبر منهما للبنتين ، وغرفة احتياطية للضيوف من الاصدقاء ، وغرفة «لهارييت» الطباخة التي ستصل في اليوم القادم .

وكان فوق غرف النوم علّية غيرمألوفة ، تحت القش تماماً

وكان الوصول اليها يتم بوساطة درج حديدي يمكن انزلاقه الى الاعلى والى الاسفل . وصعد الصغار باهتياج .

«أوه !» قالت بيني حين شاهدت الشرفة ذات الخيوط العنكبوتية «رائحتها غريبة ، أوه ، انظروا ها هي ذي اعواد القش ذاته ، أنِر مصباحك يا روري ـ اهو معك ؟»

كان مصباح روري معه ، فاخرجه من جيبه وأضاءه . نظر الاطفال في انحاء العلّية ، وكان بامكانهم الوقوف فقط حيث يتقوس السقف ، لمسوا التبن . وما كان يفصلهم عن السماء الا هذا التبن الكثيف ـ اذ لم يكن هناك جص ولا قرميد ، وليس الا التبن .

قالت شيلا «لما يتم القشاش تسقيف نهاية المطبخ بالقش ، وقد سمعت أبي يقول ذلك ، وسنستطيع مشاهدة كيف يقوم بذلك ، اليس من الممتع ان نعيش في بيت مسقف بالقش اذن سنشعر بالدفء في اوقات الشتاء .»

نزل الاطفال هابطين الدرج ، ثم ازاحه روري الى موقعه الاول . «احب هذه العوارض الخشبية السود» قال وهو يدير بصره فيما حوله «أظن انها مثيرة ، فأبي يقول انها اتت من اخشاب سفن ؛ فحين كانت السفن تتحطم كانت العوارض تستعمل في البيوت وهكذا فان كل اجزاء بيت مزرعة الصفصاف الخشبية كانت في يوم ما تبحر في البحر !»

«احب ان افكر في هذا» قال پينجي وهو يلمس عارضة البلوط السوداء القريبة منه «ايتها العارضة الخشبية العتيقة ـ كنتِ قد عرفتِ يوماً ما الاسماك في البحر وقرقعتِ حين ارتطمتْ بك الامواج ، والان تعيشين في بيت وتعرفين وقع اقدام الناس حين يصعدون ويهبطون السلالم .»

ضحك الاخرون وقال روري «انك تقول اشياء غريبة يا پينجي ، تعالوا ودعونا ننزل . اريد ان اشاهد الغرف السفلى ايضاً .»

نزل الاطفال وكانوا قد رأوا الصالون المظلم الكبير من قبل وكانت هنالك غرفة واسعة قالت الام انها ستكون غرفة الجلوس ، وفيها مدفأة كبيرة ثم صعّد روري اليها بصره ، وكان بوسعه ان يقف على جانب مصطلاها وينظر الى المدخنة في اعلاها ، ويرى السماء في ذراها ، لقد كانت كبيرة واسعة حقاً ..

قال روري «اقدر ان اتسلق الى هذه المدخنة» .

قال الاب ضاحكاً «اعتاد الصغار ان يفعلوا ذلك ، اجل يمكنك ان تحدق بها ، ذلك حق . ففي الايام التي كانت فيها للبيوت مثل هذه المدافئ والمداخن الكبيرة ، اعتاد الصغار مضطرين ان يصعدوا اليها لتنظيفها» .

وقال روري متشوقاً «اود لو اتسلقها وانظفها حين تحتاج الى ذلك .»

قال الاب «قد ترغب في ذلك لمرّة ، ولكنك لن تفعل ذلك كل يوم في حياتك» .

ذهب الصغار الى الغرفة الثانية وكانت غرفة ضيوف كبيرة مكسوة بأخشاب البلّوط . قال پينجي «أشك فيما اذا كان يوجد فيها حواجز تنزلق !» لقد كان يُحبُ ان يقرأ قصصاً عن كنوز مخفية خلف حواجز تنزلق من خشب البلّوط.

وقال الاب «ان الحاجز هناك في الجانب يبدو كأنه ينزلق» نظر پينجي اليه، اجل انه لا يشبه الاخر بالتمام لانه قد ينزلق الى الوراء، وحاول ذلك مهتاجاً .

وانزلق الحاجز الى الوراء. بهدوء الى ما خلف حاجز آخر يحاذيه . وصرخ پينجي هاتفاً «أبي ! انظر !».

بعد ذلك ضحك الجميع، فقد كان خلف الحاجز المنزلق أربعة مفاتيح كهربائية . كان ساكنو مزرعة الصفصاف السابقون قد اخفوها بدلاً من ان تشوه منظر الحاجز لدى الباب ! ولهذا لم يعثر پينجي المسكين على الكنز الخبيء او على اي شيء مثير آخر.

كان المطبخ غرفة كبيرة حقاً، بنوافذ عديدة مؤطرة، تنفتح علىٰ الحقل من الخلف، وكان له باب كبير جداً يُسمع لانفتاحه صرير، ولدىٰ غروب الشمس تدخله الاشعة.

قالت شيلا «ان فيها اكبر المواني‌ء لدينا!».

وقال ابوها «أجل ـ وجبات شهية كثيرة تطبخ هناك. انظري هناك، في تلك الناحية يوجد فرن خبز مُندس في الجدار الكثيف. وسيكون بمقدور هاربييت ان تهيي‌ء خبزها هناك».

قالت پيني وهي تتقافز حوله «احب القاعة غير المستوية» فجميع تلك القرميدات الجميلة مشوشة وغير متوزانة. واحب العوارض الخشبية الكبيرة العتيقة عبر السقف، انظري فقط الى الكلاليب والمسامير يا أمي!».

رفع الجميع ابصارهم الى العوارض الكبيرة، وشاهدوا صنوفاً من الكلاليب والمسامير هناك.

قالت الام «هناك كان الناس يعلقون افخاذ اللحم والبصل والاعشاب والتوابل، فمن العار رؤية عوارض المطبخ جميعها فارغة وعارية ـ ولكن لا بأس، فهاربييت ستستعملها قريباً. وحينئذٍ سيبدو مطبخنا مكاناً اكثر اثارة».

وكان علىٰ بعدٍ من المطبخ غرفة كبيرة باردة ذات رفوف حجرية ـ هي الملبنة، فهنا كان يعالج الحليب لاستخراج القشدة، كما يغسل هناك البيض ويصنف ويعد.

وكان مخض الزبد هناك ايضاً، وقد حاول جميع الصغار تجربته بأيديهم.

«اوه! ماما، اليس مبهجاً الاتيان بالبيض وتصنيعه، وعمل الزبد ورؤية القشدة تستخرج من اوانٍ كبيرةٍ للحليب!».

صرخت بيني بذلك، ورقصت ثانية وسقطت فوق القرميدة غير المستوية في القاعة.

قالت شيلا «حسناً، من الخير انك لم تكوني تحملين البيض في تلك اللحظة والا لكانت نهايته!»

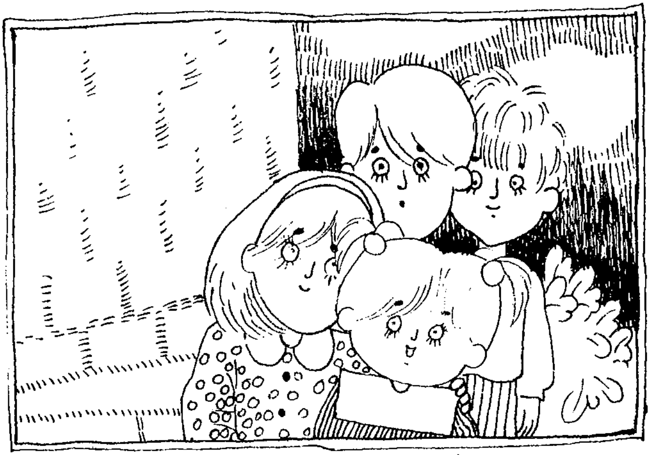
بقيت غرفة واحدة تحت - انها حجيرة صغيرة جداً تكسوها الواح صنوبرية سود - حيث قال الاب انها ستكون مكتبه ولا احد يستعملها سواه.

«إنني ساحفظ حساباتي واجد ما اذا كانت مزرعة الصفصاف مجزية ام لا!» هكذا قال الاب.

فصرخ روري-«طبعاً، انها مجزية».

وقال ابوه «الزراعة ليست بأمر هيّن. انتظر لترى».

الفصل الثالث ..



- استكشاف صغير -

- سمع الاطفال بعد ذلك ضوضاء تقرقع في الخارج فاندفعوا نحو النافذة ، صاح روري ، «انها الشاحنة الاولى ، انظروا ها هي ذي قادمة تجتاز البوابة . يا آلهي ليست الا غرفة واحدة !»

ثم قالت الام مسرورة «هذا حسن ، شاحنة واحدة تصلنا فقط في هذه الليلة - تلك هي ، فيها أفرشتنا واسرتنا ، وهكذا نستطيع ان نتدبر امر الليل ، وستأتي الاخريات غداً .»

وقرقعت الشاحنة الكبيرة وهي تتقدم نحو الباب وانزلت حاجز خلفيتها وراقب الاطفال اربعة رجال يحملون اسرتهم ومراتبهم ووسائدهم وكل شيء الى داخل البيت .

قالت الام أخيراً بعد ان اوشكت پيني ان تصرع بطرف احد الافرشة . «اذهبوا لاستكشاف الحقل ايها الصغار الطيبون ، انتم تريدون بالتأكيد ان تعرفوا اي شيء يشبه ! لقد شاهدتم البيت عالياً وسافلاً ـ والان اذهبوا وعاينوا ما اذا كنتم تحبون المزرعة وحظائر الماشية والظليات !»

فصاح روري «أوه ، نعم ، تعالوا ، كلكم لنستكشف الخلفية ، حيث الحظائر ..»

وهكذا اندفعوا الى الخارج وهم يمضغون قطعاً من الكعك الذي اعطتهم اياه امهم . وكانت المزرعة في الخلف مثيرة حيث كانت موقعاً مربع الشكل كبيراً ، تحيط به الظليات والاصطبلات ـ ولا دجاج يلقط او يقرق هناك ـ فهي ستاتي من بعيد ولا خنازير تنظر من الزريبة ، ولا ماشية تدوس في الظليات ، ولا خيول ترنو من ابواب الاسطبل .

وقال روري «لقد وعد العم تيم ان يشتري جميع ما نريده ، اليس شيئاً رائعاً ان يكون عندنا دجاج وأوز في جميع انحاء المكان ، كما هي الحال تماماً في مزرعة شجرة الكرز ؟».

اني افتقد القوقأة* والقرق ، الستم كذلك ؟ انظروا توجـد بركة للبط على بعد هناك ..»

نظر الاطفال فالتمعت من خلال باب الحقل بركة مستديرة ينبت الاسل في احدى ضفافها ، والصفصاف تتدلى اغصانه فوقها ، وتلك دجاجة ماء تسبح عبر الماء يتذبذب رأسها اماماً ووراء كأنها رقاص الساعة .

اختلس الاطفال النظر الى الحظيرة الكبيرة التي كـانت واسعة حتى بدت لهم كأنها كنيسة ، ولكنها كـانت مظلمة وساكنة .

ان جهداً كبيراً قد بذل هنا ، وان رجالاً ونساءً قد عملوا من الفجر حتى المساء ، وتعبوا وسعدوا ، وكانت الحظيرة تبدو تحلم بتلك الايام التي مضت بينما كان الاطفال يسيرون داخلها .

كانت قد بُلطت ببلاطات حمر ، وكان العشب قد نما فوق السطح اخضر واصفر ، كما افتقدت بعض البلاطات ، وكان ضوء النهار ينفذ من الثقوب .

قال روري بجدية «علينا ان نرى السقف وقد رُمم ، ان العم تيم يقول على الدوام ان الفلاح الجيد ينظر كل يوم الى سقوفه وبواباته واسيجته . وقال ان مسماراً في وقته ينقذ تسعة ، وقرميدة في وقتها تنقذ مائة ..»

فقال پينجي «حسناً ، من المبهج ان تمرَّ كل يوم وتنظر الى كل شيء . اقول ـ انظروا ، أتلك اغنامنا هناك فوق التل ؟» فنظر الجميع حيث كان هنالك حوالي خمسين شاةً تضطرب فوق سطح التل ، ومعها حملان صغار كثيرة ، وفي مكان مظلل مندس خلف ايكة من الشجر ، يوجد راع يقف في الخارج ينظر الى السماء .

قال روري «عندنا راع ـ انظروا واني ليعجبني ان يكون لطيفاً كراعي مزرعة شجرة الكرز ـ مزرعة العم تيم ؟ «هُل سنذهب لنكمله هذا اليوم ـ ام اننا سنبقي نستكشف جميع ما تبقى من الابنية خارجاً ؟»

قالت پيني «أوه ، دعنا نستكشف : اريد ان ارى ظليات الابقار ـ فأنا أحب دائماً رائحتها .»

وهكذا ذهبوا الى ظلية خالية ، حيث لا تزال رائحة الابقار الحلوة تضوع . ركضوا في الاسطبلات ، واقتلعوا الحشيش الذي كان لا يزال على سوقه . وذهبوا الى الحظيرة الصغيرة ، حيث يوجد سلم خشبي يوصل الى الشرفات العليا . تسلق الجميع السُّلم ، وكانت بعض قشور سنابل الحنطة تتطاير حول القاعة . وكانت العلّية قد أُتخذت مكاناً للخزن سنين عدداً ، وفي عّلية اخرى قريبة كانت توجد تفاحات قليلة تالفة .

قالت شيلا «أوه ـ هنا كانوا يخزنـون التفاح ـ اقـول ، اليس مبهجاً جني التفاح في الخـريف والآجاص ايضـاً ، وجلبها الى هنا لتخزن !» فضحك الاخرون .

ثم اضافت «لنذهب الى البستان الان ونَر ما يمكننا ان نجده هناك ، فالخالة پيس قالت بأن في مزرعة الصفصاف اشجار فاكهة ، هيّا ..»

هبطوا من السلم الخشبي ، ومد روري ذراعه الى پيني لمساعدتها وهي تنزل مذعورة ، ولكنها لم تأخذ يده بل قالت غـاضبـة «أريـد الا تحسب اني لا ازال طفلـة صغـيرة ، فبامكاني الصعـود والهبوط من السـلالم كما هي الحـال معكم .»

ولكنها سقطت فوق عصا في الساحة ، فضحك روري ومد لها يد المساعدة لتقف ، وقال : «ولكنك بطة صغيرة وفي بعض الاحيـان فرخ أوز ! اقـول ـ اعجب فيما اذا كنـا سنربي اوزاً» .

«الا يهس الوز ؟» قالت پيني وهي تتذكر مسيرة مرعبة ذات يوم حين اعترضها سرب من اوزات تهس وتنظر اليها بشراسة .

فقال روري : «انها كثيرة الهسيس والقوقأة ، فعليك اخذ يدي في كل وقت تمرين به عليها ايتها الأوزة الفرخة !» حاولت

بيني ان تبدي غضباً ، الا انها لم تستطع وقفزت امام الجميع نحو بوابة كبيرة تؤدي الى البستان ، وكان المكان جميلاً حقاً .

- كان النرجس البري يتفتح تحت اشجار الفاكهة بأزهار تنود وتتراقص في شمس المساء الباهتة . والتقطت بيني باقةً لتأخذها الى امها .

ثم سألت شيلا وهي تنظر الى صفوف الاشجار «أيٌّ اشجار فاكهة هذه ؟»

«تفاح واجاص وخوخ» قال روري وكان خبيراً بأنواع الاشجار «وتلك ، انظروا ، لابد انها اشجار كرز في الحقل المجاور ! انها جميعاً تتبرعم ، وستكون مبهجة خلال اسبوع او اثنين ، ما ابهج ما سنرى في موسم جني الثمار !»

تجولوا في بستان الفاكهة حيث كانت مئات من ازهار النرجس البري تتراقص امامهم ، ووصلوا الى جدول صغير تحف به أزهار الربيع ، ونظرت اليهم دجاجة ماء من بعض الفياض القريبة ثم ولت هاربة .

قالت بيني «ان دجاج الماء يهرب على الدوام ، واحب ان اشاهد واحدة منها عن قرب ، هل سيعشعش دجاج الماء في مزرعتنا ؟ هل تظن ذلك يا روري ؟ اود ان ارى جملة من افراخها السود تسير خلف امها . هل تتذكر تاميلان يوم اراد

مرة عشاً لها وشاهدنا جميع الكتاكيت تلعب ببهلوانية في الماء لتخفي نفسها ؟»

جعل ذكر تاميلان الاطفال يتذكرونه ويتوقون الى رؤيته .

قال پينجي «يجب ان نرى تاميلان غداً ، وسأستعيد منه سنجابي (سكامپر) !»

كان تاميلان قد اعطى پينجي السنجاب في يوم عيد ميلاده الاخير . وكان سكامپر سنجاباً رضيعاً بالغ الصغر حين تسلمه پينجي لاول مرة - والان قد كبر والصبي يشتاق لرؤيته . وكان قد ارجع سكامپر الى تاميلان في عيد رأس السنة لانه لم يُؤذن له باصطحابه معه الى المدرسة - ووعد تاميلان بالاعتناء الشديد به .

قال روري مسروراً «سنكون من هنا اقرب الى تاميلان منا في مزرعة شجر الكرز ، وسنأخذ اليه اقصر الطرق من تعاونية كرسماس ثم ننحدر الى الوادي حيث يعيش تاميلان . وهذا حسن لانه يعرف الكثير عن كل شيء .»

فقال پينجي «تاميلان الشيخ العزيز ، كانت لنا معه اوقات جميلة ، فبفضله صادقنا تقريباً كل مخلوق في الريف .»

وهنا سمع صوت جرس يدق عالياً من جهة بيت المزرعة ، فاستدار الاطفال ، وقالت پيني «انها أُمي تريدنا ان نعود ، حسناً لقد كانت الفطيرة جيدة -ولكنني احس بالجوع الان -

كمـا انني احس بـالبـرد ايضـاً، اوه، مـا اروع مـزرعـة الصفصاف مكاناً! السنا محظوظين ان نأتي لنعيش هنا؟

قال پينجي «اننا فرحون للغاية ـ هيّا لنأخذ هذا الطريق، انه يقودنا الى حديقة بيت المزرعة، أمنا تقول انها ستغرس ازهارها هناك، واعشابها، انظروا، توجد شجرة لينة خلال تلك البوابة البيضاء ـ انها ايكات من عنب الثعلب والكشمش وتوت الارض والفراولة ـ ان امي ستظل مشغـولة بصنـع المربيات، اليس كذلك؟..

فقـالت پيني في الحال وهي تتخيـل الفـراولـة والتـوت «وساساعدها في ذلك!».

وقالت شيلا «لا احب ان تساعديني في صنع المربى.. فانا اعلم ما مصير الثمار جميعاً ـ لن يبقى منها ما يكفي لعمل المربى» . فضحكت پيني وشعرت بالسعادة الطاغية ، كانت ساقاها تعبتين الان ولا تستطيع التراقص والوثب مرحاً .

وهكذا سارت بجانب الاخرين وفجـأة تثاءبت بصـوت مسمـوع . فقال پينجي «والان پيني ، ارجـوك الا تبدأي بالتثاؤب ، فجميعنا سنرسل الى الفراش في الحال الحال اذا ما فعلتِ ذلك . وهكذا انت دائماً .»

فقالت پيني «أنا آسفة واعدكم الا اتثـاءب حين ادخـل البيت ، ما افظع وسيلة الكبار حين يظنون انك تَعِبٌ حالما

تُظهر اقل تثاؤب . ان فمي يؤلمني حين احاول أحياناً الامتناع عن التثاؤب» .

«دعي فمك يؤلمك هذه الليلة ، انها اول ليلة في بيت جديد ، فمن الظلم ان ترسل لتنام لاول اشارة تثاؤب» .
قال روري .

كانوا يسيرون في المزرعة يثرثرون وباب المطبخ الكبير مفتوح ، وحالما فتحوا الباب سمعوا اصوات فرقعة الوقود المفرحة .

كانت امهم قد قررت ان تستعمل المطبخ في تلك الليلة ، فاوقدت ناراً في الموقد . وراحت تلقي بحزم من وقود يابس ، والنار تفرقع بقصف ، فتضيء المطبخ بابتهاج . وتراقصت الظلال وترجرجت . وكان من المبهج ان تاتي وترى تلك النار الرائعة . وكان اناء الماء يغلي فوق المدفأة القريبة ، ومائدة بيت المزرعة الكبيرة التي اشتريت مع البيت تنتشر فوقها ملاءة بيضاء ناصعة . وقد أشعل الاب بعض الشموع ، ونصب بعضها فوق الطاولة وبعضاً فوق المصطلى ، فالتيار الكهربائي لم يوصل بعد .

وكان على كُل واحدٍ منهم ان يحمل شمعة يستعملها الى ان تجلب فوانيس خاصة . وكان الاطفال يرون الشموع الطف كثيراً من اي شيء اخر . وحتى پيني قد قيل لها بان سنها

يسمح لها بحمل شمعة حين تصعد السلّم . وكانت في الاحرى خائفة من ان تحسبها امها لا تزال صغيرة جداً .

نظر الاطفال الى الطاولة حيث كان هناك اقراص خبز ابيض وبنيّ ومربى من صنع البيت اعطتهم اياه الخالة بيس ، وكعكة كشمشية كبيرة وإناء من اللحم المسلوق وابريق كبير من الكاكاو الساخن ، وكل ذلك بدا لهم شيئاً حسناً .

قالت امهم «لا توجد الان كراسيّ ، فخذوا ما تشاءون واذهبوا وكلوا جالسين على قواعد النوافذ الى ان آتي لكم بالكاكاو» .

وهكذا نشر الاطفال الزبد على خبزهم واخذوا بعضاً من اللحم والمربى وذهبوا بشطائرهم ليأكلوها متخذين من النوافذ مقاعد وكان بهيجاً الجلوس هناك والنظر الى الحقول التي تسودها العتمة او الى المطبخ الكبير البهيج يشاهدون تقافز اللهب من نار الالواح . كانت الشموع تحترق باستمرار غير ان الظلال كانت تتراقص حول المطبخ وكأنها اشياء حيّة .

قالت پيني بصوت حالم «هذا شيء بديع فأنا اشعر كأني نائمة واحلم احلاماً محببة ! هكذا اشعر !...»

فوكزها روري وكزة كادت تسقطها من قاعدة النافذة فحملقت به «لماذا .؟»

وقبل ان تشرع بالكلام قال لها روري بصوت هامس قاس : «لا تتحدثي عن النوم والاحلام لان هذا يشعر الام بأننا متعبون .» ثم قال بصوت اعتيادي مسموع «هل لي بقطعة من الكعك من فضلكم ؟»

فقالت الام وهي تقطع قطعة كبيرة «تعال وخذها ، هل انت متعب يا روري ؟ لقد قضيتم يوماً طويلاً ، الكل منكم» «متعب !» قال روري كما لو انه لم يسمع بمثل هذه الكلمة طوال حياته «متعب !» «لماذا يتعب اي منا يا امي ، انني في تمام اليقظة بحيث اقدر ان اذهب لحلب الابقار او عد الاغنام ، او جلب البيض» .

فقال الاب بضحكة خافتة «حسناً ، لا نطلب منك عمل اي من تلك يا روري ، اذا كان هناك من متعب فهي امك ! لقد وظبت جميع افرشتكم وهي جاهزة هذه الليلة .»

قالت الام على غير توقع «نعم ـ وانا حقاً أظن اني حاضرة لاذهب للفراش ، فأنا احس بأني قمت بعمل ايام عشرة في يومٍ واحد ، لقد احببت ما قمت به وفي الغد سيحل الانس ، مرحبين بالشاحنات الاخريات ومرتبين الاثاث ، ولكني احس من الخير ان انام طويلاً ، والا عجزت عن القيام بعمل اي شيءٍ

في الغد ».

قالت بيني فزعة «أوه ، ماما ، هل تعنين بأن علينا جميعاً ان نأوي الى فراشنا ؟ وانا احاول جاهدة الا اتثاءب !»

ضحك الجميع وهم يشاهدون وجه بيني ، ثم ان امهم تثاءبت ورفعت كفها لتخفي التثاؤب ، لكن ذلك لم يجدِ وفي الحال تثاءب الجميع ـ فقد كان الكل متعبين ـ وكان من الملذ ان تكون قادراً علىٰ التثاؤب وتحس بأن وقت النوم ليس بعيداً !

وقالت شيلا «في الحقيقة اني اتطلع الىٰ الذهاب الىٰ الفراش، فأنا افكر بتلك الغرفة البديعة التي ستشاركني بها بيني، وانها ستكون مريحة في الليل».

قال بينجي «وانا افكر بغرفتي الصغيرة بسقفها المنحدر وبنافذتها الناتئة هل لي أن اغلق المصاريع؟»

«كلا، بالتأكيد» قالت الأم «عليك بالحصول علىٰ اكبر قدر من الهواء، ايها الاحمق، لا تغلقها اذ لا تتخذ المصاريع الا للمنظر، الا اذا هبّت عاصفة هوجاء، فأننا سنغلق المصاريع لتصد الهواء».

«أووه ـ» أرجو أن يحدث هذا .. قالت بيني متصورة عاصفة هوجاء مخيفة تضرب النوافذ، ثم تثاءبت ثانية ـ تثاؤباً ظاهراً بحيث عجب روري كيف أنها تستطيع أن تجعل

فمها الصغير هكذا كبيراً! وبعد ذلك تثاءب كل الأطفال وبصوتٍ عال في الحال ونهضت امهم.

قالت الام «اوقدوا شموعكم وهيّا للنوم جميعاً، وسأغسل الاطباق واذهب أنا أيضاً».

اوقد الاطفال شموعهم، وكان ذلك ممتعاً، ووعدت الام بأنها ستدخل عليهم لتقول لهم طابت ليلتكم.. وهكذا قبلّوا أباهم وتمنوا له ليلاً طيباً وهبطوا السلالم الواحد بعد الآخر بينما كانت الشموع تتراقص وهم هابطون.

وبدا البيت القديم هادئاً محبباً وهم يطقطقون الدرجات..

انها مزرعة الصفصاف، وهاهم اولاء أخيراً يعيشون فيها، انه واقعٌ جميل.

ذهبوا الىٰ غرفهم، وكانت اسرّتهم معدة ومغطاة واثواب نومهم جاهزة، وفرش اسنانهم في الحمّام، وهكذا ذهبوا الواحد بعد الآخر لتنظيف اسنانهم.

«بعد كل شيء فأنا متعب»، قالت پيني وهي تدلف الىٰ باب غرفتها الخاصة واضافت «لا أظن اني ساستيقظ الا بعد وقت طويل!».

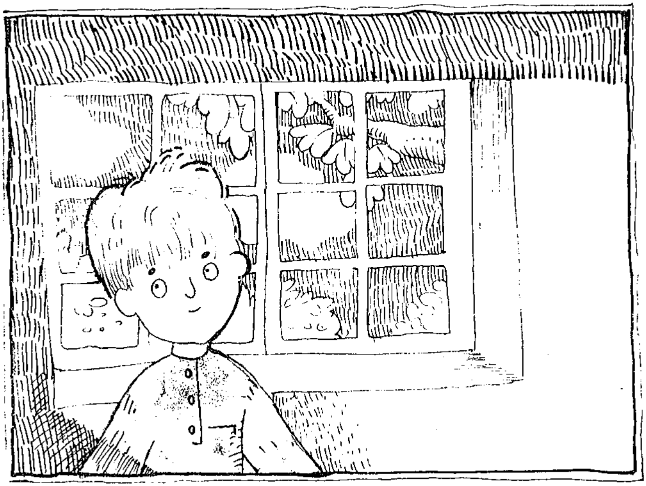
وقالوا لبعضهم ليلتكم سعيدة، وذهبت البنتان الىٰ الغرفة المشتركة وكل واحدة لفراشها، وكان روري في الغرفة المجاورة، فسمعتا لصرير سريره صوتاً وهو يندفع اليه.

وصاح روري «طابت ليلتكم، من الممتع الاستيقاظ غداً ونحن في مزرعة الصفصاف! أظن اني سوف لا أدري اين أنا بعد دقيقة او اثنتين من الآن».

وقال بينجي «طابت ليلتك، غداً سنذهب لرؤية تاميلان، الشيخ تاميلان الطيّب».

وبعد ذلك عمَّ السكون، وحين جاءت امهم بعد عشر دقائق لم يكن بوسعها أن تقول لهم طابت ليلتكم لان الجميع كانوا قد غطوا في نوم عميق.

الفصل الرابع



- اليوم الاول -

استيقظ پينجي اولاً عند الصباح . فقد دخلت الشمس الى نافذته وحين فتح عينيه شاهد حزمة من اشعتها الذهبية على الجدار . فتذكر في الحال اين هو الان وجلس مسروراً ، ثم فكر مع نفسه «انه يومنا الاول في مزرعة الصفصاف ، وسأرى تاميلان هذا اليوم - وسكامپر ! ولا ادري ان كان روري قد استيقظ !»

انسلَّ الى غرفة روري ، ولكن روري كان لا يزال غاطاً في نومه ، لذلك ارتدى پينجي ملابسه وهبط السلالم بنفسه ، خرج الى الحقل من باب المطبخ الكبير حيث كانت شمس الصباح شاحبة وفيها قليلٌ من الدفء ، ولكن كان من الممتع مشاهدتها .

فكر پينجي «اود لو ان هناك دجاجاً وأوزاً يوقوق ، ولكن سيحصل ذلك في القريب ، يا الهي كيف تغرد الاطيار !» كانت موسيقى الصباح الباكر تملأ أذنيه وهو يتجول في انحاء الحقل ، والعصافير تزقزق مرحة - «چب - چب - چب - چب - رري - چيبي - او و ي ي ي آر !» .

هكذا كانت تغني مجنونة - وصفَر پينجي مقلداً الالحان . وكانت الشحارير جاثمة فوق اعالي الاشجار تغني ببطء ووقار مع نفسها ، وتصغي الى الحانها . والسمانيات تنشد بمرح وهي تكرر وتعيد الحانها .

غنى شحرور «ژودي - ژودي - ژودي» واجابه الاخر «لاحظ كيف تصوغه ، لاحظ كيف تصوغه !» في الوقت الذي تعثر فيه پينجي في بريكة وبلَّ نفسه وضحك الصبي .

فكر مع نفسه «ستعود السنونوات قريباً ، ولا ادري هل ستبني اعشاشها في الحظيرة اذ سيكون من الممتع فعلها ذلك . بعد كل شيء فان اسمها الحقيقي هو سنونو الحظيرة -

ولدينا حظائر كثر . وسأختلس النظر لاجد ما اذا كانت هناك اعشاش قديمة .»

كان الظلام يسود الحظيرة ولا يسمع برؤية بقايا اعشاش السنونو القديمة في اعالي السقف ، ولكن پينجي رأى عش خطاف قديم على جدار بيت المزرعة وكان اثنان او اكثر منها تحت نافذته تماماً .

«ما أمتع مجيئها في الشهر القادم وشروعها في البناء مرّة ثانية» . فكر پينجي وهو يرنو الى تلك النافذة الناتئة في غرفته ، والمكسوة باتقان بالقصب «سأسمع زقزقتها الجميلة وارى صغار الوطاويط تختلس النظر من اعشاش الطين . أرجو ان تأتي على عجل» .

تحرك الراعي من على بعد في الحقل ، وكان مشغولاً بعمل شيءٍ ما لواحدة من الاغنام ، وليس من احد هناك غيره ، ولا يرى اي حيوان او طائر ولا من شيء يراد اطعامه .

ولكن مهلاً ـ هناك شخص ما ! شاهد پينجي طرف سلم يظهر في احد الاركان في بيت المزرعة . مَنْ يا تُرى يحملهُ ؟

جاء احدهم الى الركن وصفر بلطف وشاهد پينجي فتوقف . قال «صباح الخير يا سيدي الصغير» .

قال پينجي «صباح الخير ، من انت ؟»

قال الرجل «أنا بيل القشاش ، قد كسوت لكم البيت ـ

وبعد ذلك سأساعدكم في توظيب المزرعة لتمشية الامور !»

«أوه ذلك رائع» قال بينجي مسروراً ، وقد ارتاح لمنظر الرجل كثيراً . كان وجهه مُسمّراً كأنه تفاحة الصنوبر وعيناه كأنهما قطعتا صيني في وجهه البني .

اخذ بيل السلّم الى نهاية المطبخ في البيت ، وكانت مطروحة هناك اكوام من القش .

قال بينجي «ارغب في ان اقشش سقفاً ، انت تعرف اننا نتعلم انواعاً من الاشياء في المدرسة يا بيل ، مثل ماذا حدث في معركة كريسي واشياء اخرى مشابهة . ومع ذلك لا يفكر احد بتعليمنا كيف نعمل أشياء مفيدة ومثيرة كتقشيش سقف مثلاً ، فكر ما اجمل ان اقدر ان اقول لابي «دعني اقشش السقف يا ابي ! اودعني انظف بركة الاوز ، اودعني اكنس المدخنة !» ضحك بيل وقال «حسناً ، تعال وراقبني افعل شيئاً من التقشيش ، فقد تكون في السنة القادمة قادراً على التقشيش حين يكون البيت في حاجة الى ذلك !» كان مع بيل عصي كثيرة من الصفصاف قد اقتطعها وهو في طريقه الى مزرعة الصفصاف في ذلك الصباح . بدأ يقصها الى قطع قصيرة ليجعل نهاياتها حادة . راقبه بينجي وسألهُ «لايّ شيءٍ تريد ذلك ؟» قال بيل «أجعل منها اوتاداً ونهايات ، انظر وشاهد الجزء الذي انتهيت من صنعه .

نظر پينجي ورأى ان القشاش قد جعل النهايات متقنه قريباً من وسط السقف المقشش . قال «تبدو وكأنها للزينة ، هل انك تضعها هناك لغرض التجميل ؟»

قال القشاش «كلا سيكون التبن راخياً ان لم يمسك عند الوسط كهذا ـ والنسق هذا يقوم به كثير من القشاشين وقد استعمله ابي ، انها مهنة تتوارثها العائلة ويلزم تعلمها منذ الصبا .»

«اوه ، حسناً» قال پينجي ، فرحاً فهو لا يزال صبياً وبامكانه تعلم التقشيش .

«أقول ، هل تظن ان بوسعك ان تنتظر الى أن ادعو الاخرين ؟ انهم يحبون ان يشاهدوك وانت تقوم بالتقشيش .»

«اذهب وادعُ الاخرين ، ولكني لن انتظر» .

قال القشاش وارتقى السلم بحمل ثقيل من القش على كتفيه . «ان اضاعة دقيقة هنا ودقيقة هناك لا فائدة منها حين تشرع بالعمل واني لن انتظر اذ سيستمر العمل طوال اليوم ولديكم وقت كثير لتشاهدوني .»

في تلك اللحظة جاء الاطفال الثلاثة . وشاهدوا پينجي فاندفعوا نحوه «لماذا لم توقظنا ايها الخبيث ؟ أمضيت زمناً طويلاً اليس كذلك ؟»

قال پينجي بل دهوراً ، كل شيء ممتع ! انظروا ذاك هو القشاش ، اسمه بيل . انظروا الى تلك الاغصان من الصفصاف التي قام بحد اطرافها انها لاجل صنع نسق جميل يتماسك به التبن في نهايات السقف» .

«لقد تعلمْت الكثير» قال روري ضاحكاً . «قل لنا كيف يقشش السقف ، يا پينجي ؟

قال پينجي بسرعة «حسناً ان القشاش يخرج اولاً جميع التبن ثم .....» وهنا اطلق القشاش ضحكة عالية فنظر اليه پينجي وسأله «ما الأمر ؟»

تبسم القشاش وقال «أود ان ادربك على التقشيش . فلعلك تجد لك مهنة ! والان شاهد ما افعل ـ أُسحبُ مسافة حوالي ست او سبع بوصات من التبن النتن ، واشتغل بحفنه من التبن الجديد ـ حوالي اثنتي عشرة بوصة سمكاً . وهذا سيجعل الاسفل حصيناً حين ينزل المطر . لا حاجة بك الى نزع جميع التبن العتيق ـ فذلك تبذير حقيقي . فحين يعاد تقشيش السقف اسحب فقط ما لا خير فيه ودس الجديد .»

سأله روري متعجباً «هل تعني ان تقول بأن تبناً في سقفنا قد يكون عمره سنين وسنين ؟» .

«يصح ذلك» قال القشاش بابتسامة ، وهو لا يزال

يسحب ويزيح بيديه القويتين ، ويعمل بتأكد ورشاقة في التبن الجديد .

«وستندهشون للاشياء التي أعثر عليها في القش العتيق ـ صناديق بمسكوكات قديمة ، قطع مجوهرات مسروقة ، اكياس نفايات ـ لقد كانت السقوف المقششة المكان الخفي المفضل في الازمنة القديمة»

حدّق به الاطفال مفتوحي الافواه مشدوهين ، فقد كان ذلك رائعاً . وسألته بيني «هل عثرت على شيء في قشنا ؟»

قال بيل «كلا انها المرة الثالثة التي اقشش فيها هذا السقف ـ ولا احسب اني سأجد شيئاً في هذه المرة حيث لم اجده في المرة الاولى ! انظروا الان ـ اليس هناك من يدعوكم ؟»

كان ذاك هو والد الاطفال ، يبحث عنهم ليأتوا للافطار فغادروا القشاش واسرعوا للدخول في البيت يشغلهم ما قال بيل . فكرت بيني بأن الشيء الاكثر اثارة في الدنيا ان تكون شخصاً يمكن في اية لحظة ان يجد كنزاً في سقف . واعملت فكرها لتصعد الى العليّه فوق غرفة نومها وتطعن في القش هناك ، لعلها تجد شيئاً ما قد اخطأه القشاش .

«يجب الا تضايقونا هذا الصباح» . قالت امهم حين انهوا افطارهم بالخبز والمربى . «الشاحنات الاخريات

قادمات وسنكون مشغولين للغاية» .

قال پينجي شاعراً بخيبة أمل «الا نبقى لكي نساعدكم ، احبُ أن أرى الاثاث محمولاً الىٰ فوق يا أُمي» .

قالت الام «حسناً ، لا يشعر الرجال بهذه الاثارة كما تشعرون انتم ـ كلا ، سأعد لكم طعام نزهة للغداء ـ وتستطيعون ان تذهبوا لرؤية تاميلان» .

علا هتافهم ، فكل واحد كان يريد ان يرىٰ تاميلان .

قال پينجي فرحاً «حسناً ، احب هذا اكثر من اي شيء آخر ، وسيكون ممتعاً أن نعود ونرىٰ الغرف بأثاثها وهي تبدو جميلة أليفة» .

قالت امه ضاحكة «لن تجدوا ذلك عندئذ اذ سيستغرق اتمام العملية اسبوعاً او اثنين . والان ماذا تحبون لغداء نزهتكم ؟ سأعمل لكم شطائر من لحم مطبوخ وبامكانكم اخذ فطائر وعلبة من البسكويت كما توجد قنينة حليب كبيرة اذا ما رغبتم في ذلك .. الامر لكم ..»

قبل أن يغادروا لرؤية تاميلان ، رتبت البنتان الافرشة وساعدتا الوالدة في الغسل وتقطيع الشطائر . وتماماً في الوقت الذي كانوا فيه يرزمون أشياءهم في اكياس يحملها . الولدان ، وصلت الى سمعهم قرقعة الشاحنات

تصعد الزقاق . «بالضبط تماماً» قالت أمهم وهي تجري نحو الباب «والان بامكاني التخلص منكم ايها الصغار لفترة بينما يفرغ الرجال الحمولة ..»

أخرج الاطفال قبعاتهم ومعاطفهم ووضعوها وراء الباب الامامي ووقفت اول شاحنة في الخارج ونزل منها الرجال ، وفتحوا الابواب الخلفية ونظر الاطفال الى الداخل فرأوا الاثاث الذي كانوا يعرفونه جيداً .

صاحت بيني «تلك هي منضدة التمريض !» وقال روري «وذاك هو صندوق الكتب ! افترض ان أمي ستخبر الرجال عن محلات الاشياء في الغرف ليضعوا كل شيء في محله . ارغب بعض الشيء لو أننا نبقى ونساعد .»

فصاحت امهم «انصرفوا الان ، ولا تنتظروا في البرد هناك» . سار الاطفال متلفتين بين حين وآخر ، وقد عزموا على ان يذهبوا الى اعالي تل الصفصاف ويعبروا تعاونية كرسماس نحو كهف تاميلان ، وكان على بعد ميلين .

وحين بلغوا اعلى التل نظروا الى تحت حيث مزرعة الصفصاف مستقرةً ثابتةً في التل ، والدخان يتصاعد دوائر من مدخنة المطبخ . إنها الان تنبض بالحياة وبالاناس الذين يجرون في كل الانحاء وبالدخان المتصاعد من المدخنة . وبعد ذلك ومن فوق التل سار الاطفال في

طريقهم الى تاميلان . كانوا يغنون لانهم كانوا سُعداء ، وكان الوقت وقت عطلة . والربيع والصيف قادمان ، ولديهم بيتٌ في الريف بدلاً من لندن ، ويمكن رؤية تاميلان في الاغلب متى يحبون ! فلقد افتقدوه كثيراً .

داروا حول تلٍ صغير ، وكان ينمو هناك سرخس وخلنج واشجار البتولا تلوّح الرياحُ باغصانها .

وسار الاطفال نحو بقعةٍ يعرفونها جيداً . كانت كهفاً في سفح التل ، تخفي مدخله صيفاً اغصان السرخس التي لم يبق منها الان غير البقايا اليابسة . فالسرخس الجديد لم ينمُ بعد . وكان الخلنج يتدلى بحزمه الكبيرة من فوق الحافة العليا للكهف .

وقف الاطفال في الخارج وهتفوا «تاميلان ! تاميلان !»

قال روري «لندخل ، لابد أن يكون غاطاً في نومٍ عميق !»

قال پينجي بهزء «لا تكن احمق ، ماذا ؟ اِن تاميلان الشيخ يستيقظ لو أن فأرة تقف وتمسح شاربيه ! كان لابد أن يكون قد سمعنا قادمين حول التل منذ مدة طويلة لو أنه هنا .»

دخلوا الى الكهف ، وكان مثيراً أن يعودوا الى هنا ثانية . لقد كانت الفتحة واسعة في الداخل ، وكان السقف عالياً والكهف صخرياً مظلماً .

«هنا سريره» قال روري ، وهو يجلس على إفريز صخري وضع عليه طبقات من الخلنج والسرخس . «انظروا انه لا يزال يحفظ اطباقه من الزنك وادواته فوق نفس الرف» . نظرَ الأطفال الىٰ الرف الصخْري الصغير المقابل للسرير ، وكان عليه معدات تاميلان القليلة نظيفة ومرتبة .

قال پينجي فرحاً «ها هو ذا المقعد الذي صنعناه أنا وروري لتاميلان في عيد الميلاد . انظروا الىٰ السناجب التي نقشتها حول الحافة» .

«وهنا البطانية التي حكناها له أنا وشيلا» قالت پيني وهي تضرب بلطف* مطبقاً في آخر الفراش المكون من السرخس والخلنج «أرجو ان يكون قد وجدها دافئة في هذا الشتاء البارد .»

«عجباً أيكون البئر الذي يستقي منه تاميلان لا يزال عاملاً فيما وراء الكهف» . قال روري وذهب ليرىٰ ، اضاء مصاحبه في الظلمه هناك ثم أطلق صرخة حادة فسأله پينجي مندهشاً «ما الأمر» ؟

«لا شيء ، سوىٰ أن أحد اصدقاء تاميلان هنا» اجاب روري ضاحكاً . وجاء الآخرون ليروا . لقد علمهم تاميلان أن يسيروا بتؤدة حين يريدون أن يشاهدوا الحيوانات أو

الطيور .

كان هناك أرنب مطروح في أحد جوانب البئر الذي ينبع من قاع صخرية .

كانت عيناه السقيمتان الواسعتان ترنوان الىٰ الاطفال ولا يقدرُ علىٰ الحركة .

قالت شيلا باكتئاب «انظروا – ان رجليه الخلفيتين مكسورتان وتاميلان يحاول ان يجبرهما ، لقد وضعهما في جبيرة ، آه الأرنب المسكين ، لابد انه قد تعرض الى فخ .» نظر الاطفال الىٰ الاسفل نحو الأرنب المريض . كان قد غمر أنفه في ماء البئر ليلعق القليل . وكان بينجي متأكداً من أنه يتألم .

أرادت بيني أن تضربه بلطف الا ان بينجي منعها من ذلك وقال لها «لا يحب الحيوان المصاب أن يمُس ، دعيه وحدهُ يا بيني» . وقالت شيلا فجأةً «اصغوا ! أسمع تاميلان قادماً كما أظن» . وعندما أُصغوا عرفوا جميعاً في الحال انه العزيز تاميلان الشيخ . فلا احد له مثل هذا الصفير الحلو الواضح ، وليس في العالم غيره يمكن أن يعزف على الناي كطير الماء أو يصفر كما تصفر* واندفع الاطفال جميعهم الىٰ مدخل الكهف .

صاحوا «تاميلان ، نحن هنا !»

«الفصل الخامس»



تاميلان الشيخ الطيب

كان تاميلان قادماً من أعلى التل ، وذراعاه مملؤتان بغذاء أخضر وبجذور ، رماهُ حين رأى الأطفال وارتسمت علىٰ وجهه الاسمر ابتسامة عريضة وابرقت عيناه اللماعتان كالشرر على جدول ماء ، حين القىٰ الاطفال عليه انفسهم واحتضنوه .

قال ، حسناً ، حسناً ، ايّ عاصفة من الاطفال تتهدرني ، لقد شببت يا روري ، وانت يا شيلا ، دعيني اراك ، پينجي ، ايها العزيز ، لقد كنت أفكر فيك على

الدوام : وصغيرتي العزيزة بيني ـ انها ليست صغيرة جداً الان ـ لقد شبت وكبرت .»

كان الكل فرحين برؤية تاميلان ثانية ، وكانوا يتكلمون ويضحكون بعد ان جلس الخمسة على حافة الافريز . كان تاميلان شخصاً يعتمد عليه كلية وبصورة مطلقة . وهو يفعل دائماً الشيء الصحيح ، ولا يسيء فهمهم ، انه صديقهم الموثوق به أبداً . كان طبيعياً كالحيوانات التي احبها ، ومرحاً كالطيور ، وحكيماً كالتلال المحيطة . أوه كان حسناً رؤية تاميلان مرة ثانية :

صاحت بيني «هل رأيت مزرعة الصفصاف يا تاميلان ؟ اليست محببة ؟»

فقال «انها مكان بديع ومزرعة جيدة أيضاً . وبعمل جاهد وقليل من الحظ ستكونون على أحسن حال هنا ، الارض جيدة ، والحقول محمية جيداً ، حيث تدعو الحاجة ، ولها شهرة بجودة الماشية والمواد . وافترض انكم ستساعدون جميعاً في العمل» .

قال روري «طبعاً ، نحن الابنين ندرس لدى القس ثانية لهذا الفصل . والبنات ستفعلان ايضاً ! وهكذا سيكون الاحتياطي من وقتنا للمزرعة ، وكذلك ايام الآحاد والسبت ايضاً . السنا محظوظين يا تاميلان ؟ فقال صديقهم

«جداً ، حسناً واذا احتجتم لأية مساعدة وفي أي وقت فتعالوا اليّ لانني استطيع ان اعمل بجهد كأي انسان آخر . انتم تعلمون ـ وانا اعرف ادوية متنوعة كثيرة لمساعدة المخلوقات المريضة» .

قال يينجي متذكراً «أوه تاميلان ، رأينا ذلك الارنب المسكين في كهفك . هل سيتحسن؟»

قال تاميلان «اذا عاش الى نهاية هذه الليلة فسوف يتحسن ولدي بعض الجذور هنا اريد ان اهرسها وامزج معها شيئاً اخر . فاذا افلحت في ان يبتلع الارنب هذا المزيج فسيخف الالم ويساعده ذلك على الشفاء. فالحيوان حين يصاب اصابة سيئة او يعاني من الم شديد يموت بسهولة، الارنب المسكين الصغير ـ انه صديق عظيم لي. لقد رايته فيما سبق، ياپينجي!»

وهنا سأله پينجي حزيناً «اوه ـ اهو الارنب الذي كان يتردد عليك في الكهف في العام الماضي؟ لقد كان محبوباً ، سريع الجريان ومؤدباً . لقد احببتهُ ، ما الذي اصابه فأضرَّ به الىٰ هذا الحد يا تاميلان ؟»

قال الرجل المتوحش «لا اعلم ، ولكن يظهر أنه أُصيب بعصا اصابة شديدة ولو أنني لا اظن ان أحداً يمكنه أن يقترب منه بما يكفي له ان يفعل ذلك، ولا ادري كيف

استطاع ان يجر نفسه الي هنا، المسكين كان يزحف على يديه فقط» .

كانت پيني على وشك البكاء، وراقبت الرجل يهرس بعض الجذور بحجر ثقيل ثم مزج العصير بمسحوق بني وحرك الاثنين بخضهما معا. ثم ذهب الى الكهف، والاطفال في اثره.

نظر الارنب الى الرجل المتوحش بعينين واسعتين متألمتين بينما ركع تاميلان وامسك برأس الارنب الناعم بلطف بيده اليسرى، وفتح فمه المرتخي ودفع فيه بعناية اكرة صغيرة من مزيجه الغريب، ثم اطبق فم الارنب وامسك به. صارع الارنب بوهن ثم ابتلع الدواء.

ترك تاميلان فم الارنب ومرر اصابعه القوية السمر على مؤخرة رأسه.. «ستشعر بالتحسن بعد قليل» قالها بصوت ناعم.

خرج الجميع الى الهواء الطلق ثانية، وطرح پينجي سؤالا كان على طرف لسانه لبعض الوقت.

«تاميلان ـ اين سكامير؟»

قال الرجل المتوحش ضاحكاً «حسناً، حسنا، تظن انني لم اذكر سنجابك! سكامير يعمل مايوحي به اسمه، انه يفر مطاردا حول الاشجار مع السناجب الاخر. وفي الطقس

البارد كان يسكن معي، يتحرك بشق النفس، غير ان هذا لم يدم اسبوعا وسخن الجو وذهب المخلوق الصغير ليلعب على الاشجار مع بني اعمامه» .

قال پينجي شاعراً بالخيبة «اوه ، اهو لم يتدجن اكثر اذاً ؟ «بالطبع» قال تاميلان «ستراه بعد دقيقة او دقيقتين سأصفر له !»

صفر تاميلان صفيراً غريباً حاداً ، عالياً وموسيقياً «انه يشبه قليلاً صفير ثعلب الماء» قال پينجي متذكراً ليلة كان قد قضاها مع تاميلان وسمع فيها ثعالب الماء تصفر في النهر الواحد للاخر . «أرجو ان يسمعك سكامير يا تاميلان»

قال تاميلان «سيفعل ، ولا يهم في اية ناحية يكون من الارض» . كان الرجل مصيباً ، ففي حوالي نصف دقيقة اجاب سكامير بصيحة .

«انظر ، ها هو ذا سكامپر آت صعداً في التل انظر» . كانا حقاً يشاهدان السنجاب البني الصغير متجهاً نحو اعلىٰ التل ، وذيله الكثيف الشعر يتأرجح خلفه . اندفع نحو الجماعة مظهراً فرحاً ووثب صاعداً علىٰ كتف پينجي !

قال پينجي مسروراً «اوه ، ايها المخلوق الصغير ، لقد عرفتني بعد غياب ثلاثة اشهر ، ما كنت اظن انك ستفعل . أوه ، تاميلان اليس جميلاً ؟ لقد كبر وذيله فخم !»

اطلق السنجـاب بعض الاصـوات المضـحكـة ، وعضّ بلطف اذن پينجي وجرىٰ مستديراً حول عنقه ، ثم الى الاعلى والاسفل من ظهره وبعدها اعتلى قمة رأسه ووقف . فضحك الجميع .

«من المؤكد انه سُرَّ لرؤياك يا پينجي» قال تاميلان ونظر سكامير الى الرجل المتوحش ووثب على كتفه عاد مّرة اخرى الى ظهر پينجي . كما لو انه كان يقول «أنا مسرورٌ برؤية پينجي، ولكني مولع جداً بك أيضاً يا تاميلان .» سأل پينجي «أظن انه سيأتي الى مزرعة الصفصاف معي ، اريده ان يفعل .»

قال الرجل «أوه أجل ، ولكن يجب ان لا تهتم اذا اراد ان يرحل هو بذاته اڤي بعض الاحيان . انه يحب اهله من جنسه كما تعلم . ساعلمك الصفير الذي احفظه خاصاً به ، بعدها سيـأتي اليك كلمـا طلبته .» قـالت پيني فجأة «انـا احسُّ بالجوع ومعنا غداء نزهة يا تاميلان ، ستشاركنا غداءنا ، اليس كذلك ؟»

قال تاميلان «طبعاً ، هيا معي ، اعرف بقعة دافئة ومظلله محمية من ريح آذار البـاردة هذه . وسيحـل نيسـان في الاسبوع القادم ، وحينئذ ستكون الشمس اكثر حرارة !»

«بديع» قال پينجي «هّيا ، عجل بالطعام يا روري» .

تناولوا غداءً طيباً وتحدثوا الى تاميلان عن كل شيء طوال

الـوقت ، حدثـوه عن المـدرسـة وعن لنـدن وعن مـزرعـة الصفصاف وحدثهم تاميلان بدوره عن أخباره .

قال «ليست انبائي مثيرة كانبائكم ، لأنني قد عشتُ حياة هادئة هنا في كهفي منذ أن غـادرتم . كنت مسروراً للغايـة باحرامكما الصوفي يا شيلا ويا پيني ، حين حلَّ ذلك البرد القارس . اما عن مقعدكما المنقوش يا روري ويا پينجي ، فانا حقاً لا اعرف ماذا كنت افعل من دونه ، لقد اتخذته منضدة ومقعداً في كل يوم .»

فقال الاطفال فرحين «تاميلان ، ايّ الحيوانات كانت معك منذ ان فارقناك أخيراً ؟»

قال تاميلان «حسناً ، كما تعلمون ، فان كثيراً جداً منها ينام ويسبتُ شتاءً ، الا ان الارانب كانت تاتي الي لتـراني كثيراً ، وتثب مرحاً حول كهفي . ثم اختفت مع ذلك فجأةً حين ظهر ابن عرس .

«ابن عرس !» قال پينجي مندهشاً «هـل كان اليفـاً الى درجـة انه أتى اليـك ؟» قال تـاميلان «نعم ، كنت مسروراً برؤيته ايضـاً ، فقد كـان صغيراً وجميـلًا ، عرف رائحـة الارانب شماً ولهذا جاء الي لاول مرة في الكهف . كنت ستحبه يا پينجي فقد كان يتواثب كأنه المهرج الصغير» .

«وَمنْ غير ذلك أتى ليراك ؟» سألته بيني ، راغبة* لو انها كانت مع تاميلان في كهفه مدة الاشهر الثلاثة الماضية !

فقال تاميلان «كثير من الطيور ، دجاج الماء ياتي غالباً ، السماني ، ابو الحناء ، الشحرور ، العصافير ، وكلها كانت تمُرّ مروراً سريعاً أو لمدة شهر فقد نام هنا عِندي أبو الحناء مدة شهر كامل .»

قال روري وهو يتذكر الثعلب المطارد الذي آواه تاميلان في احد ايام الشتاء حين كانوا كلهم هنا «هل جاء الثعلب مرة ثانية ؟»

قال تاميلان «نعم ، ياتي غالباً ، انه اكثر المخلوقات جمالاً . يندفع مباشرة نحو الماء وراء الكهف ويعلق قطرة او اثنين منه ، كما لو انه يتذكر كل وقت كيف اعانه الماء حين كان مرهقاً ومطارداً» لبث الاطفال يتحدثون في ذلك المنخفض الدافىء الى ان حل وقت الشاي . بعد ذلك نهضوا ومطوا أرجلهم . قالت شيلا «وعدنا أمنا اننا سنعود في وقت الشاي . ويجب أن نذهب . تعال يا تاميلان وزرنا في مزرعة الصفصاف فهل ستفعل ؟ سنكون مشغولين جداً في القريب وقد لا يكون معنا الوقت للمجيء لرؤيتك كل يوم . ولو اننا نود ذلك . ولكن ، بوسعك ان تاتي وترانا في اي وقت تشاء . وسيحب امي وابي ان يرياك .. ونحن نريد ان نريك كل شيء

في مزرعة الصفصاف» .

ودعَ الاطفال الرجل المتوحش وغادروا ، وقبل ان يغادروا انسلوا الى الكهف لالقاء نظرة على الارنب . أضاء روري مصباحه ووجهه نحو الارنب وقال مسروراً «اوه ، يبدو انه قد تحسن، فعيناه لاتبدو فيهما تلك النظرة الزجاجية المؤلمة. اظن انه سيشفى، ايها الارنب المسكين ـ لاتنظر هكذا حزيناً. ففي يوم ما ستثب في الحقول ثانية وكأنك في سرعة الريح» .

قال تاميلان «أشك في هذا، سيظل يعرج بقية حياته، ولكنه سيكون سعيدا معي هنا لو انني دجنته» .

جرى الاطفال نحو البيت عبر تعاونية كرسماس، وبلغوا اعلى التل في مزرعة الصفصاف وانحدروا نحو بيتهم. كان مبهجاً العودة الى مزرعة الصفصاف والى البيت.

كانت الشاحنات قد ذهبت وكان بعض القش يتطاير في الساحة، والدخان يتصاعد من ثلاث مداخن بدلاً من مدخنة واحدة. وكان القشاش بيل يتحدث الى ابيهم في الساحة. وبعضهم يغني في المطبخ.

«تحس تماماً كأنك في بيت».. قالت شيلا وهي تجري داخلة من باب المطبخ، ثم توقفت حين رأت شخصاً غريباً هناك.

ابتسمت لها فتاة سمينة محمرة الوجنتين وقالت «تعالي، انا هارييت. كنت اريد ان اراكم انتم الاطفال طوال هذا اليوم!»

دخل الاطفال كلهم واحبوا منظر هارييت، كانت شابة في نحو الخامسة عشرة وكانت مشغولة بوضع صينية الشاي. ونظرت الى الاطفال خجولة.

قالت هارييت «هذه فاني ابنة اخي وهي تأتي كل يوم لتساعدني».

قالت شيلا «وانا شيلا، وهذه اختي پيني، وذاك روري اكبرنا، وهذا پينجي. أهذا الشاي مهيأ لنا؟»

قالت هارييت «انه كذلك. فامكم في الاعلى تنظم الاشياء كلاً في مكانه، اذا اردتموها، لقد كانت تريدكم ان تعودوا».

جرى الاطفال ليروا امهم واختلسوا الانظار الى كل الغرف في الاسفل. اوه، كم هي مختلفة الان، مع جميع الكراسي والمناضد المألوفة فيها!

صعدوا وشاهدوا غرف نومهم، ولم تكن اسرتهم موجودة حسب بل خزاناتهم وكراسيهم وصناديق كتبهم! وبجانب سرير پيني كان سرير لعباتها منصوباً، والباخرة الكبيرة التي كان روري قد صنعها تنتصب بفخر على رف هناك.

قال الاطفال «إنه شيء بديع، أين انت يا أمي». «أنا هنا»

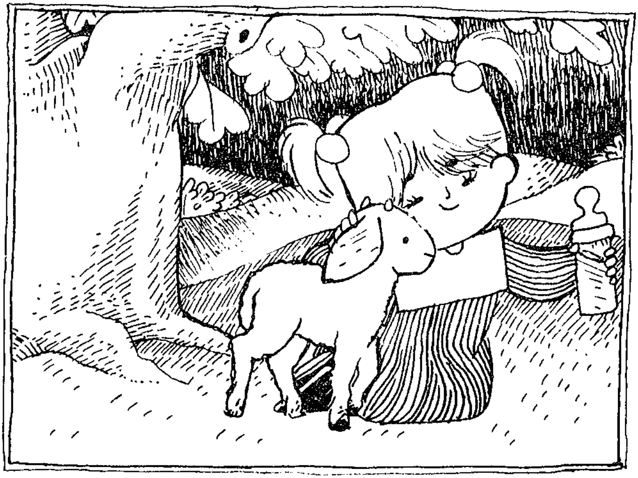
قالت الام من غرفة الالعاب واندفع الاطفال نحوها وقد بدت غرفة الالعاب جميلة أيضاً وفيها جميع كراسيهم الخاصة والمنضدتان التمريضيتان . والكرسي الهزاز كان هناك ايضاً ، وبيتا اللعابات ، والقلعة وكومة من الملاعيب القديمة لحيوانات تخص پيني وپينجي . «هذه ستكون غرفتنا المحببة» قال پينجي وهو يرنو من النافذة الى التل ، الى حيث الجداول الفضية تلتمع تحت شمس الغروب . «أُمي ما اسرع ما وضعت كل شيء في مكانه !»

«حسناً ، تبدو كذلك ..» قالت الام ضاحكة .» ولكنها ليست كذلك في الواقع . يجب ان نضع السجاجيد غداً ـ ونعلق الصور ـ وعليكم اخراج كتبكم ووضعها في صناديقكم ، ويجب على پيني ان تنظم العابها في الخزانه التي هناك . كما ان هناك الكثير مما يمكن ان يعمل .»

«حسناً ـ نودُ ان نفعل ذلك» . قال روري وهو يفكر بفرح بترتيب جميع متعلقاته في غرفة نومه الجديدة .

«كلُّ شيءٍ ممتع في مزرعة الصفصاف» .

الفصل السادس



- مفاجأة لبيني -

كانت الايام التالية كثيرة الامتاع . حيث رتب الاطفال جميع لوازمهم حسب ما يحبون ، وعقدوا مع هارييت وفاني صداقة ، ولو ان فاني كانت في البدء خجولة جداً لكي تتكلم بينما كانت هارييت مرحة للغاية ومعها على الدوام ما تقدمه للاطفال حين يتزاحمون في المطبخ .

أنهى بيل العمل في السقف ، ولم يجد شيئاً مثيراً في القش مطلقاً وهذا ما خيب آمال بيني .

قال بيل «يسرني ان يكون العمل قد انتهى ، والان عليَّ ان اتوجه للعمل في الحقل ، هناك عمل زراعي وانباتي كثير يجب ان يعمل ـ وعلي ان اجعل الحديقة جاهزة من اجل امكم ، فهي تريد ان تزرع جميع الانواع هناك !»

قال روري «أهناك ما يمكن ان نقوم نحن بعمله ؟ أُريدُ ان اعمل ! ارغب في ان نحصل على دجاجنا وأوزنا وابقارنا واشياء أُخرى يمكن ان نعنى بها .»

سأل الاطفال ابويهما عن موعد وصول الطيور والحيوانات العائدة للمزرعة .

قال الاب «في الحال ، ان عمكم تيم سيأتي بالطيور غداً ، فبيوت الدجاج جاهزة الان . ايكم سيعنى بتربية الدجاج ؟» قالت شيلا في الحال «أنا ، أُحب الدجاج ولو اني احب البط اكثر ، دعني اعنى بتربيته يا ابي .»

قال ابوها «حسناً يا شيلا ، اذا اردت ان تعملي فعليك ان تتعلمي اشياء تخصها . كان خيراً لك في مزرعة شجرة الكرز وللاخرين انكم تنثرون الحب للدجاج حين كنتم ترغبون في ذلك ، ثم تذهبون للعثور على بيض دافىء تحملونه الى خالتكم بيس ـ ولكنكم اذا كنتم حقاً وصدقاً عازمين على العناية بأمر الدجاج وان تجعلوا من ذلك شيئاً خاصاً ، فعليكم ان تتعلموا الشيء الكثير عنه».

قالت شيلا «ادرك ذلك يا ابي ، هل لديك كتاب في ذلك ؟»
«لدي كتابان» قال الاب «وساعطيك اياهما» .

سألتهما پيني «شيلا ، هل أُساعد في شؤون الدجاج انا ايضاً ، اريد ان اقوم بعمل شيء ما . فالولدان يقولان انهما سيعنيان بامر الخيول ويحلبان الابقار حين تصل .»

اصرت شيلا على العناية بالدجاج وحدها ، ولكن ، حين شاهدت وجه پيني المستعطف رق لها قلبها .

قالت «حسناً ، نعم يمكنك ، وبوسعك قراءة الكتب ايضاً» .

فرحت پيني فرحاً شديداً وشعرت بأهميتها ، فهي ستقرأ الكتب حول تربية الدواجن ! كما اشتاقت الى ان تحدث عن هذا شخصاً ما ، اذاً ستخبر تاميلان حالما تراه .

جلب الاب لهما الكتب وكانتا تبدوان كبيرتين ولكنهما بالاحرى جاهلتين الا ان شيلا وپيني لم تعبئا بذلك فهما ستعرفان الان كل شيء عن الدجاج ! اعطت شيلا لپيني الكتاب الذي بدا انه سهل وفيه صور للدجاج .

ثم سأل پينجي «ابي ستدعنا نعنى بالخيول حين تصل ؟ هل ستفعل ؟ وان نحلب الابقار ايضاً ؟ بوسعنا تنظيف السقائف جيداً لقد فعلت ذلك مرة او اثنتين في مزرعة شجرة الكرز .» قال الاب «تستطيع ان تحاول ، فقريباً تكون المزرعة

مهيـأة على نحـو لائق ـ الابقار في الحقـول ، والخيـول في الاصطبل ، والدجاج والبطيجري هنا وهناك ، والزبد يصنع والاغنام اي حياة عاملة سنحيا ! وسنتناول جميعاً افطارنا في الساعة السابعة صباحاً .»

وهنا قالت شيلا وكانت مضطجعة في الفراش «الرحمة ، ذلك يعني ان النهوض سيكون في السادسة والنصف !»

فقال ابوها «أجل ـ والذهاب الى النوم مبكراً . فالفلاحون عليهم ان يكونوا في الحقول بعد الفجـر حالاً ـ ولا يسعهم الاستيقاظ مبكرين ان لم يذهبوا الى النوم مبكرين .»

لم ترق الفكرة للاطفال ، فكرة انهم سيذهبون الى الفراش مبكرين ولكن اذا كان احد يريد ان يكون فلاحاً فعليه ان يفعل ما يفعله الفلاح . نهضت شيلا وپيني وتوجهتا نحو غرفـة اللعب ومعهما الكتب عن الدجـاج . أجهدت پيني نفسهـا لتقرأ ، انها تقـرأ جيداً حقـاً ، ولكن ما اطـول الكلمات في الكتاب ـ ثم ما اكثر الفصول حول اشياء تسمى المحاضن والمفاقس ، وفي الحال تركت المسألة .

قالت بصوت واطىء «شيلا انا لا افهم في الحقيقة هذا الكتاب ، هل كتابك اسهل ؟»

كانت شيلا قد وجدت كتابها شديد العسر ايضاً ، وبدا انه مكتـوب للناس الذين يربـون الـدجـاج منـذ سنـين ، لا

للمبتدئين ـ شعرت انها لن تعرف كيف تطعم الدجاج بصورة مناسبة ـ ولن تعرف متى تحضن الدجـاجة البيض ، ولن تعرف ان كان الدجاج مريضاً ولكنها لم ترد أن تقـول ذلك لپيني ! لهذا نظرت وابتسمت «اوه ، يا عزيزتي پيني ، أيةٍ طفلة انت ! سأقرأ انا الكتب ان لم تستطيعي انت ، واخبرك عما يقولون ، سأخبرك بكلمات تفهمينها» .

احمرت پيني خجلاً وقالت «حسناً عليـك ان تخبرينني بالتمام» .

أحست الفتاة الصغيرة بالخجل لانها غير قادرة على فهم الكتب ، وتركت غرفة اللعب ، وهبطت السلالم وفكـرت ان تسير وتتحدث الى الراعي الشيخ فوق التل . وهكذا ذهبت !

كانت الاغنام تـرعى في سفح التـل ، وكانت الحمـلان تتواثب هنا وهناك ، وضحكت پيني لرؤيتها ، ورغبت كثيراً ان تمتلك احدها . كانت قد اطعمت واحداً من مزرعة شجرة الكرز بوساطة زجاجة رضاعة اطفال ، وكم أحبت ذلك !

وقالت پيني لنفسها «في الواقع أظن ان الحملان الطف من الدجاج ، انا اعلم ان شيلا تحب الدجاج ، ولكني اشعر انها اشياء غبية ، فهي تبدو متشابهة الى حد كبير ، والان ، فان الحمـلان كـالبشر ـ يختلف بعضهـا عن بعض . ووقفت وراقبت الحملان تتقافز هنا وهناك ثم نظرت الى الاغنـام .

فكرت ان «مما يثير الشفقة ان تكبر الحملان وتصبح اغناماً ، الاغنام كالدجاج متشابهة سواء بسواء . واظن أن الراعي يستطيع التمييز بينهما ، غير اني لا استطيع» . نظرت لترى اين كان الراعي . كان في اعلى التل حيث يوجد حاجـز من اغصان فجرت پيني نحوه .

حين وصلت الى الراعي قالت «هاللو ، أتيت لاراك» «حسناً آنستي الصغيرة» قال الراعي وهو يتكىء على عصاه ويرنو الى الفتاة الصغيرة بعينين رماديتين كشعره «وما اسمكِ» ؟»

قالت «پيني ، وانت ما اسمك ؟»

قال «داڤي ، انه اسمٌ يثير الضحك هذا الذي تتسمين به فحين كنت صغيرة كانوا يسمونك نصف پيني ؟ فمتى تكونين توبيني (بنيان اثنان) .

ضحكت پيني واحبت داڤي ، وقالت «كلا ، لم تكن لي تلك الاسماء ، واسمي الحقيقي هو پنيلوب ، لكن انا ادعى پيني للسهولة .»

قال الراعي «سأسميك تويني ، فالپيني الـواحد زهيـد جداً» . وضحك كلاهما ، وجاء كلب اسكتلندي ضخم يجري نحوها واخذ يلمس يديها ، فضربته ضرباً خفيفاً مداعبة ، قال داڤي «هذا خير كلابي ، انه اعجوبة مع الاغنام !» سألته پيني «أهو كذلك حقاً ، ماذا يفعل لها ؟» قال داڤي «تعالي في

احد الايام وانا احرك الاغنام من تل لاخر وسترين حينئذ ماذا يصنع راسكال .

هل تعرفــين ، اني اذا كنت مريضــاً واردت اغنامي ان تؤخذ من هنا الى اعلى التل المجـاور، فما عـلي الا ان اخبر راسكال، وبعد مضي ساعتين تكون كل هذه الاغنام في اسفل هذا التل سالمة! ثم في اعالي التل المجاور!» قالت پيني «يـا آلهي! أود ان اراه يقوم بذلك . داقي، هناك كلبٌ اخر ، ما اسمه؟»

قال داقي «تلك نانسي» انها جيدة ايضاً، ولكنهـا ليست مطيعة مثل راسكال، وانظري هناك في الاعلى «تنكر» انه ليس كلب رعاة ولكنه جيد كالباقين .

قالت پيني مأخوذة بلطافة الاسماء «راسكـال ونانسي، وتنكر» داقي قُلْ لي أمن اليسير تربية الاغنام ؟ قـال داقي «نعم ، اذا عرفت كيف اقوم انا بالعمل هذا طول حياتي يا توپيني الصغيرة ، ووقعت بكل الاخطاء التي يمكن ان تقع . ولكن لا شيء اجهله حول الاغنـام الان» . قالت پيني «هـل تعلم ، اني قد قمت بتغذية حملان بوساطة زجاجة رضاعة في مزرعة شجرة الكرز؟ احببت ذلك واود ان اكون مثل مريم في ترنيمة الحضانة وعندها حمل خاص بها . احب الحملان .»

قال داقي وهو ياخذ بيدها «حسناً ، تعالي وانظري الى هذا

الحمل الصغير المسكين، لو انك كنتِ هنا قبل ستة اسابيع لطلبت منك ان تاخذيه وتعتني به، ففي موسم ولادة الحملان لا يكون لدي وقت للعناية بحملان سقيمة. ومع ذلك فقد بذلت جهدي من اجل هذا». ثم اخذ پيني الى حاجز صغير ينطرح فيه حمل واحد ، وكان عمره بضعة اسابيع، ولكنه كان بالغ الصغر وبالغ الضعف. واضاف قائلاً «لامه ثلاثة حملان، احبت اثنين منهم، ولكنها لم تابه بهذا. ولذا اخذته واعطيته الى شاة اخرى كان حملها قد مات. ولكن كان علي ان اسلخ جلد الحمل الميت اولاً واغطي هذا الحمل بالجلد الحاجب.»

صاحت پيني «ولكن اية متعة تفعل انت؟ لماذا فعلت ذلك؟»

قال داقي «لان الام لا ترضع الا حملاً له رائحة حملها. حسناً، شمت هذا المحجوب بجلد الميت والفته وتبنته.»

قالت پيني «كم انا مسرورة».

فقال داقي «ولكن انتظري قليلاً، لقد أرضعته لمدة اسبوع فقط ثم عافته وصارت تنطحه برأسها في كل مرة يقرب اليها، وكان علي ان ابعده واحاول تغذيته باليد بوساطة القنينة».

فسألته پيني «وهل كان يرتدي جلد الحمل الميت طيلة هذين الاسبوعين؟»

قال داقي «كلا، فحالما قبلت الام الحمل. نزعت الجلد عنه ولكن لابد ان يكون هنالك شيء ما حول هذا الصغير بحيث

تكرهه الشياه اذ لا أحد يريد تغذيته».

سألته پيني وعيناها تبرقان «داڤي، افترض ان بامكاني ان امتلكه لي خاصة ، فهل يمكنني ؟ وبوسعي الحصول على زجاجة رضاعة اطفال ، وستجهزني هارييت بالحليب.

اوه ، دعني افعل !»

قال الراعي «حسناً ، سأتحدث الى ابيك ، سيعينني* ٦٩ اخذك اياه والاعتناء به ، ليس لدي وقت كثير الان ـ وسيموت الحمل اذا لم يكبر بعض الشيء في الحال» .

نظرت پيني الى الحمل ذي الارجل الطويلة مطروحاً في الحاجز، كان له وجه اسود صغير، وذيل طويل متمعج، وجسم هزيل، وسيقان تشبه تماماً لعابتها الحمل في البيت. قالت «انه ليس حملاً حلواً بل يبدو بائساً ، ان الحملان على الدوام نشيطة متوثبة صاخبة، ألسن كذلك؟، ولكن هذا الحمل ليس مثلهن.»

قال داڤي «ذلك لانه ليس على ما يرام ـ سأتحدث مع ابيك عنه يا توپيني. ها هو ذاك، سأكلمه الان. انظري ـ هل ذلك الشخص يدعوك في الاسفل؟»

كان الشخص هو أم پيني . اندفعت پيني هابطة التل لترى ماذا ارادت امها، وصاحت عندما اقتربت «ماما، ماما، يقول الراعي داڤي من الممكن ان يكون لي حمل خاص بي

اطعمه. اوه ماما، هل تعتقدي أني اقدر؟ سيتكلم داقي مع ابي حول الامر. يقول ان الحمل سيموت اذا لم يعن به احد باتقان». سمعت شيلا ما قالته پيني وقالت «ظننت بانك ستساعدينني في شؤون الدجاج».

قالت پيني «سأفعل ولكني أحس بأني سأفهم الحمل خيراً مما أفهم الدجاج يا شيلا، على كل حال لن تأخذ تغذيته مني وقتاً طويلاً في كل يوم.»

دعتها أمها ان تدخل وتستوي فراشها فقد نسيت ان تفعل ذلك. كانت القاعدة هي ان كل واحد من الاطفال يجب أن يرتب فراشه وان ينظفوا غرفهم.

رتّبت پيني فراشها بسرعة وازاحت الغبار ونظفت غرفتها، وحين نظرت من النافذة شاهدت اباها والراعي لا يزالان يتحدثان ـ كلا، ان ابي قد ترك داقي وهو الان في طريقه الى المزرعة اخرجت پيني رأسها من النافذة وصاحت «أبي، هل بامكاني اخذ الحمل؟»

«نعم، اذا كنت ستعنين به على ما يرام.» قال ابوها. فصرخت الفتاة الصغيرة ابتهاجاً واندفعت الى الطابق الاسفل ـ وهي توشك ان تصدم فاني المسكينة في ذهابها. ثم صاحت بفاني «سيكون لي حَمل».

واخترقت التل صعداً كما لو ان مئة كلب وراءها يطاردنها

لانها ارادت ان تحصل على الحمل قبل ان يغيروا رأيهم عنه!

قال داڤي وپيني تجري صعُداً نحوه «أية زوبعة! حسناً. سيكـون لك الحمـل، ولكن عليك ان تـاتي به الي في بعض الاحيان لارى كيف ينمو.»

قالت پيني «سأفعل، سأفعل، أنا ذاهبة لشراء قنينة تغذية له ومن كيسي الخاص.»

قال داڤي «لا حاجة بك الى ذلك، بامكانك اخذ هذه» وناولها قنينة تغذية ـ كانت لهـا حلمة كبـيرة من خلالهـا يستطيع الحمل امتصاص الحليب كما يفعل الطفل تماماً وقال: «لقد أرضعته هذا الصباح، فاعطيه قنينة ثانية من الحليب وقت الغداء وثالثة وقت تناول الشاي. اعطيه بمقدار ما توفره لك هارييت من الحليب.»

اخـذت پيني القنية. ثم ان داڤي قلـع بعض اغصـان الحاجز وحمل الحمل وربط عنقه بحبل ربطاً وثيقاً.

قال «لن يتبعك حتى يعـرفك. خـذيه بلطف الى المـزرعة واسألي امك اذا كنت تقدرين ان تضعيه في البستان الصغير الى ان يتعرف عليك. بعد ذلك سيصاحبك اينما تذهبين هنا وهناك في المزرعة.»

كانت پيني مثارة وفرحه. لانها تريد حملاً خاصاً بهـا، وفكرت ماذا تسميه.

قالت «اسميه النطّاط، إنه ليس بنطـاّط الان ـ ولكن قد يصبح كذلك عما قريب.»

امسكت بالحبل وحاولت قيادة الحمل الى اسفل التل ـ الا انه عاند في اول الامر وشدَّ الحبل كما لو انه اراد ان يتسابق بجرِ الحبل معها. ولكنه في الحال تبعها بسـلام حتى صار يجري احياناً امامها.

وحين وصلت الى المزرعة جاء الثلاثة الاخـرون لينظروا مشدوهين. فسأل بينجي «ماذا انت فاعلة بالحمل؟ ما اجمله من مخلوق صغير اسود الوجه!»

قالت بيني متباهية «انه حملي واسمه النطّاط». وقال روري منذهلاً «لك؟ من اعطاك اياه؟» قالت بيني «داڤي الراعي، انه مفرط اللطف وعنده كلاب ثلاثة، راسكال ونـانسي وتفكر ـ ويقول انه عندما يحرك الاغنام فعلينا ان نذهب ونراقب جيداً كلابه وكيف تعمل له.

لقد اعطاني هذا الحمل لي خالصاً للعناية به لانه صغير مسكين، ولا وقت لديه للعناية به.»

فقـال بينجي «انت محظوظـة،انا احبـه بقدر مـا احب سكامبر.»

وكان سكامـير اذ ذاك فوق كتفــه، فالسنجـاب لم يترك بينجي مرة واحدة منذ ان اعاده الى المزرعة، حتى انه كان

ينام معه في الليل!

وقالت بيني «انا ذاهبة لأري النطاط لأمي.» واخذت الحمل الى حجرة الجلوس، فصرخت امها متعجبة «لا، لا ـ عزيزتي بيني، لا يمكنك ان تاتي بالحمل الى داخل البيت ـ دعيه في البستان.»

حسناً، كان من الخير للام ان تقول بان على بيني الا تاتي بالحمل الى البيت! وهكذا عاش الحمل في البستان يوماً او يومين ثم اطلقت بيني سراحه لترى هل يتبعها كحمل مريم الصغير. وقد فعل!

كان يتبعها في كل مكان! تبعها الى الحظيرة، وتبعها الى المطبخ، حتى انه صعد معها الى الطابق الاعلى، الى غرفة الالعاب وما اذا كان ليصبر على ان يكون من دونها.

احبته الفتاة الصغيرة واطعمته بما كانت توفره لها هارييت من حليب وصار الامر متعة، فكانت هارييت تصب الحليب في القنينة فتأخذها بيني الى الحمل. الذي يجري نحوها في الحال، واحياناً يضع يديه الطويلتين المضحكتين فوق خصرها ليصل الى الحليب بسرعة وكان يفرغ الحليب بلمح البصر، وهو يمتص الحلمة امتصاصاً له ضوضاء.

كبر حتى في الايام الثلاثة وصار لعوباً ونطاطاً وتعلقت به بيني كثيراً. وكان الاخرون يغنون اغنية الحضانة اينما كانوا

يشاهدون بيني قادمة مع حملها وهو ينط خلفها.

كان لبيني حملٌ صغير
كالثلج صوفه ابيض كثير
وحيثما تذهب بيني يذهب
محققاً بانه سيلعب»

واعتادت الام عليه داخل وخارج البيت ـ غير أنها عنفت بيني على السماح له بدخول الحمام حين كانت بيني تستحم ليلاً. وصاحت بها «اوه، بيني عزيزتي، لا اريد هذا مطلقاً. ستغسلينه في المغطس في المرة القادمة».

احمّرت بيني خجلاً وفكرت في سرّها انه سيكون من الممتع تغطيس الحمل وبخاصة في احدى الامسيات حين يكون قد تلوث بالوحل والقذارة.

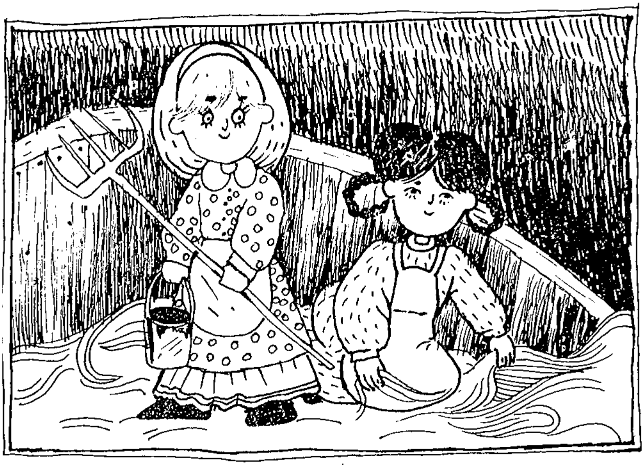
قالت «حسناً، لن آخذه الى الحّمام مرّة ثانية.» وشاركت هارييت في المحاورة وقالت «ولا الى محل حفظ الاطعمة، ولا الى خزانة الاطباق». قالت هارييت ذلك وعيناها تطرفان.

وعدتْ بيني ضاحكة وقالت سأجعل حملي يسلك جيداً، سأجعله طيباً كطيبتي.»

فقالت هارييت مبتسمة «ياله من سخاء، اي حمل* ٧٦ سيكون!»

ب٦١١٢م٩١

الفصل السابع



- شيلا تجد صديقة -

كان حَملَ پيني شيئاً مثيراً جداً ـ كما كان هناك شيء غير ذلك ايضاً. فلقد وصل الدجاج. وقد لا يبدو هذا مثيراً جداً. ولكن بالنسبة للاطفال الاربعة في مزرعة الصفصاف كان حدثاً مثيراً للغاية. دجاج خاص بهم! دجاج يضع بيضاً ويكسب مالاً! وذلك جزءً من الحياة في مزرعة الصفصاف بالنسبة للصغار.

كانت شيلا قد درست ثلاثة كتب ولكنها لم تتعلم الا القليل منها، ولم ترد ان تقول بان الكتب عسيرة الفهم جداً، الا انها

وجدت عوناً كبيراً غير متوقع.

وجاء هذا عن طريق فاني، الفتاة التي كانت تاتي يومياً لمساعدة هارييت فقد دخلت لتنظف غرفة الالعاب حين كانت شيلا جالسة هناك تحاول فك رموز كتب الدواجن. وهنا تنهدت شيلا وقالت «أوه، فاني لو اني اعرف الكثير عن الدجاج. فانا سأعنى بتربيتها، كما تعلمين، وينبغي ان اتعلم في الحقيقة عنها، حين تبيض، وحين لا تكون على ما يرام وأُريد ان اساعد ابي وامي لتكون المزرعة مجزية.»

سألتها فاني بحياء «حسناً يا آنسة شيلا، ماذا تريدين ان تعرفي؟ ان امي تربي دجاجاً وانا اعنى بها منذ ان كنت صغيرة، ولا حاجة لك بالقلق حول دجاجك، فلديك مأوى جيد لها واكنان كثيرة، وستطبخ لك هارييت الفتات، كما يوجد في المخازن حبوب».

توسلت شيلا قائلة «فاني، احكي لي عن الدجاج منذ البدء... لا اريد ان اقع في اي خطأ.»

فضحكت فاني وقالت «اوه، من الوقوع في الخطأ تتعلمين، فأولاً اي نوع من الدجاج سيكون عندك. هناك انواع جيدة كثيرة كما تعلمين. فهل سيكون ما تربين، دجاجاً للبيض او للحم اي للأكل؟»

فقالت شيلا «للبيض، اريد كثيراً من البيض. ان العم تيم أت بالدجاج غداً وهي من نوع الاوپنكتون[1] Buff-orpingrons

فقالت فاني فرحة «اوه ذلك الدجاج البني السمين الجميل المنظر انها كدجاجاتنا، تبيض مقداراً كبيراً من البيض، وتعلمين يا آنسة شيلا، ان أحسن الدجاج سيكون عندك في اوقات الشتاء، لانها تبيض في الوقت الذي لا يبيض فيها اي نوع آخر من الدجاج.»

قالت شيلا «حسناً، هذا جيد، ولكن هل ستحضن البيض جيداً ايضاً؟»

قالت فاني «أوه، نعم دجاجنا يفعل ذلك، على كل حال آنسة شيلا سيكون ممتعاً وضع بعض البيوض للفقس ورؤية الكتاكيت تظهر.»

قالت شيلا «يا للطيبة اجل، تصوري يا فاني انني لا اعرف حتى كم بيضة ينبغي ان اضع تحت الدجاجة الحاضنة.» فقالت فاني «بوسعي ان اخبرك عن اشياء كهذه. تضعين ثلاث عشرة بيضة طازجة وسترين ان الدجاجة لا تفارق بيضها لاكثر من عشرين دقيقة في كل مرّة.»

فسألتها شيلا «لماذ، هل يصاب البيض بالبرد؟» فقالت فاني «برد مجمد، وحينئذٍ لا يفقس، ولهذا ترضع الدجاجة

الحاضنة في كن يا آنسة، فبهذا لا تستطيع ان تخرج وتفارق بيضها.»

سألتها شيلا «ولكن كيف تحصل اذاً على الغذاء والماء؟»

ضحكت فاني وقالت «امر يسير، تخرجينها للاطعام ونقر الحبوب ولشرب الماء ولرياضة ساقيها كل يوم.» وسألت شيلا «وماذا سيحصل لو اني نسيت ان افعل ذلك؟»

فقالت فاني «حسناً، ستظل المسكينة جاثمة الى ان يصل بها الجوع حداً تنفر معه بيضها المحضون وتأكله. وهذا كل شيء! وهل تعلمين بأن الدجاجة تقلب بيضها بين حين واخر لتدفئة بصورة متوازية؟ ولقد لاحظت دجاجاتنا الحاضنة تفعل ذلك . الا تظنين انها ذكية بما يكفي للقيام بذلك، اليس كذلك؟.

فسألت شيلا «وكم تطول مدة حضن الدجاجة لبيضها؟ قروناً، وقروناً كما افترض.»

قالت فاني «كلا، ثلاثة اسابيع فقط، وممتع منظر نجوم* الكتاكيت وتفقيس البيض. وستحبين ذلك.» «اجل ساحبه» قالت شيلا مفكرة جذلى بدوزينات من الكتاكيت الصغيرة المزقزقة تجري هنا وهناك في الفناء. «أوه، فاني قد تعلمت عن الدجاج منك في خمس دقائق اكثر بكثير مما تعلمته من تلك الكتب الصعبة!»

قالت فاني «اذا كـان لدي وقت فسـآتي واشاهـد بيت الدجاج معك بعد ظهر هذا اليـوم. ينبغي فرش الارضيـة بطحلب متفحم، انه خيرفراش لين* ـتحتاجين فقط الى تبديلة مرة اومرتين في السنة.»

قالت شيلا «فاني، سارعي بانجاز عملك اذاً، وسنذهب ونخطط للدجاج، سأخبر ابي باننا نحتاج الى طحلب متفحم.»

وكانت فاني مسرورة كشيلا بان تخطط للدجاج فلقد اعتادت ان تربيه طوال حياتها، ولكن في باحة بالغة الصغر، وفي بيت دجاج صغيرجداً. الان سيحفظ الدجاج بصورة صحيحة، في حجر كثيرة الاكنان والافراخ ايضاً، ما امتعها! حين انجزت عملها بسرعة في ذلـك الصباح وكـانت خالتهـا مسرورة بها للغاية.

قالت لها «لقد وفرت لك وقت بعد ظهر هذا اليوم يا فاني. كنت فتاة جيدة هذا الصباح، لقد نظفت قاعة مطبخي جيداً والفرن يلتمع كالزجاج».

قالت فاني «انا ذاهبة لاساعد شيلا لكي تتهيأ لدجاجها. يا للروعة يا خالتي هارييت، انتظري لتري كم هو كثير مـا سنحصل عليه من البيض والفراخ».

قالت هارييت «لا تعد فراخك قبل ان تفقس».

قضت شيلا وفاني وبيني وقتاً ممتعاً بعد ظهر ذلك اليوم.

نظفن بيت الدجاج. ولم يكن قذراً جداً وكان قد بيض غسلاً من الداخل. وجاءت فاني ببعض الطحلب المفحم من القرية في كيس صغير، وكان فراشاً بديعاً، دافئاً بنياً وناعماً. وقد دس البنات اصابعهن كي يتخللنه فرحات، وقالت پيني «بودي ان ادوس على هذا وانبشه بمخالبي لو كنت دجاجة، هل سننشره فوق القاعة؟» «نعم، هكذا» قالت فاني! وفي الحال اصبحت القاعة مغطاة بالطحلب المتفحم البني الداكن وظهرت بمظهر نظيف حقاً.

«هل سنضعه في صناديق الحضن ايضاً.» سألت پيني، وهي تنظر الى صناديق الحضن النظيفة الفارغة.

«كلا، سنحصل لها على بعض التبن» قالت فاني جذلة، وكانت تمتع نفسها، وهي فتاة ريفية حقاً، تحب ان تقوم بفعل كل شيء بروحية فلاحية.

وجدت الفتيات الثلاث بعض التبن في الظلية واخذن ما يكفي لصناديق الحضن. ورصصنه مستوياً في اسفل كل صندوق وحاولن ان يجعلنه مريحاً للدجاج.

قالت پيني «وددت لو اني صغيرة بما يكفي كي ادخل في احد هذه الصناديق، وان اجلس على التبن لارى ماذا يشبه.» ضحك الاخريان وقالت شيلا «انت مضحكة، يا پيني

تكرهين ان يداس عليك كما لو انك بالغة الصغر، وتريدين الان ان تكوني اصغر مما انت عليه ـ لعابة في خـزانة، او دجاجة في قفص حضن!»

كان لبيت الدجاج فناء لجريها محاط بشبكة سلكية قد نما عليها الحشيش .

قالت فاني «هذا لا يهم. سيلقطه الدجاج، على كل حال، ستجعلينها حرة في التجول حول الفناء اليس كذلك، يا انسة شيلا؟»

قالت شيلا «اوه، نعم، ولكن ارجو الا تضع بيضهـا في الخارج في اي مكان. تحت السياج اوما الى ذلك اذ سيكون ذلك مدعاة للاسف.»

قالت فاني «حسناً، علينا فقط ان نراقب ذلك. والان ماذا عن الغذاء؟ انظري تـوجد ذرة في هـذا الصندوق الكبـير، سنعطيها شيئاً منها في كل يوم! فالذرة تساعـدها عـلى ان تبيض على الدوام. وسنحصـل على بيض كبـير الحجم اذا اعطيناها الكثير منه لتأكل.»

قالت پيني «ماذا نعطيها غير ذلك؟»

قالت فاني «حسناً، خالتي هارييت ستطبخ كل النفايات، كما تعلمين، قشور البطاط، بقايا وفضلات الحلويات الحليبة، الخبز وكل ما يزيد عن حاجتنا، ثم نمزج ذلك بالجـريش -

ونعطيه لها مقوياً في الصباح الباكر وبعد تناول الشاي. وستكون الذرة في متناولهن في منتصف النهار. سيحببن ذلك.»

قالت بيني «يبدو الامر مثيراً، وماذا عن الماء؟ انها تريد الكثير منه، اليس كذلك؟

قالت فاني «نعم، اناء كبير مملوء - انظري هذا الجرن*٨/٧ يكفي، سنملؤه ماء كل يوم على ان يكون ماءً نقياً. وسأجعل خالتي تعطينا كل اعواد اللهانة وما شابهها. فالدجاج يحب ان ينقر فيه.»

قالت شيلا «سننظف البيت كل يوم، سأحك الذرق المتساقط على اللوحة بهذه المجرفة الصغيرة. وارجو ان يكون دجاجي على احسن حال.»

قالت فاني «لابد ان يكون كذلك، والشيء المهم هو الا نبالغ في الامر حولها. ولكن تأكدي من تهيئة بيت نظيف وطعام جيد وماء نقي ومحل كاف للجري. حسناً، سيكون لها كل ذلك. لقد نسيت شيئاً مهماً - يجب ان نعطيها حبيبات رملية خشنة - لهضم طعامها - والكلس من قشور المحار المكسرة جيداً.»

قالت بيني مندهشة «قشور محار مكسرة، لماذا؟ الدجاج لن يحب قشوراً بحرية، اليس كذلك؟»

ضحكت فاني وقالت «لا تحبها غذاء، ولكنها تحتاج اليها

لتساعدها على تكوين قشور لبيضها. فاذا افتقدتها سيكون البيض ناعس القشر ولا فائدة منه.»

قالت شيلا «شاهدت شيئاً ما في كيس حيث توجد الذرة، لابد ان تكون هي قشور المحار ـ وهنالك حبيبات رمل ايضاً. دعينا ناخذها اذ يمكننا وضعها في هذا الصندوق الخشبي وفي داخل البيت، وبهذا لن يتلفها المطر..» ومع حلول وقت الشاي لم يبق ما يعمل من اجل الدجاج ثم دخل الولدان وارتهما البنات كل شيء وهنا قفز سكامبر من فوق كتف پينجي ليتفحص بيت الدجاج. ودخل في احد صناديق الحضن. وبصبص بوقاحة.

ضحك پينجي وقال «هل تريد ان تضع بيضة سنجاب، يا سكامبر؟ انت شيء يثير الضحك، الست كذلك؟» قالت شيلا «سياتي العم تيم بالدجاج غداً بعد الظهر، آه يا روري، ما امتع ان يكون لنا افراخ؟ ساحب ذلك.» قال پينجي «حسناً، قد تكون دجاجة او اثنتان حاضنة وتريد ان تظل جالسة طوال اليوم، حينئذٍ تعطونها بعض البيض لتحضنه لكم.»

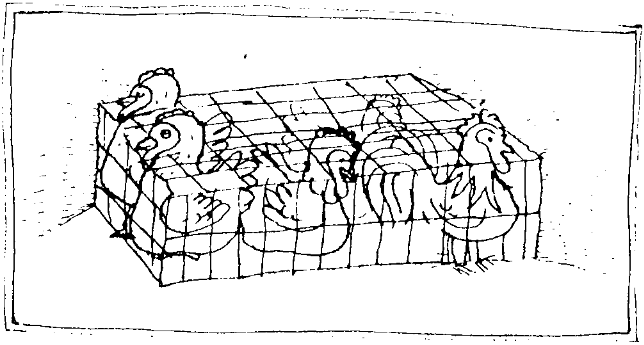
قالت شيلا «عندئذٍ سنخرج الاكنان وانت تعلم ان فاني تساعدنا الى ابعد حد. لم اقدر ان افهم اي شيء في تلك الكتب ـ ولكنها قالت لي عن كل شيء.» وقال پينجي «حسناً، انت هناك، يا پيني، الى اين انت ذاهبة؟ انه وقت الشاي.»

وكانت بيني قد جرت مسرعة نحو البستان الصغير وتسلقت البوابة وصاحت «اريد ان آتي بالنطاط». لقد حان وقت تناوله شايه هو ايضاً. قولي يا فاني لهاربييت اذا كان يمكنها اعطائي قنينة حليب اخرى له فالمسكين يبدو جائعاً،

هرع الحمل يجري نحو بيني، واخذته الى الحقل وكان هناك بينجي ومعه سكامبر، فوثب سكامبر من اعلى كتفه الى ظهر الحمل بينما ضحكت بيني وقالت «يريد ان يسوقه كم اود لو اني اصورهما.»

وصاحت شيلا «الا تأتون؟ يوجد كعك مدور وعسل مع الشاي ـ واقول لكما ان لن يبقى لكما شيء ان لم تـأتيا في الحال!»

ـ الفصل الثامن ـ



«وصول الدجاج»

في اليوم الثاني وصل الدجاج. جاء به العم تيم في صندوق كبير وكانت الخاله پيس معه وكانت هذه اول زيارة لهما الى مزرعة الصفصاف منذ وصول العائلة اليها، فجرى الجميع للترحيب بهما.

صرخت پيني «عمي تيم، وپيس خالتي، انظروا الى حملي المدلل!»

وصاح پينجي «عمي تيم، لقد حصلت على سكامپر مرة ثانية.» وقال ابو الاطفال «هللو تيم، هلو پيس. مرحباً بكما في مزرعة الصفصاف. لقد استقر بنا الحال اخيراً.! ادخلا

وتناولا بعض الطعام والشراب.»

فدخل الجميع الى البيت، وهم يتحدثون ويضحكون. وبعد برهة انسلت شيلا وبيني خارجتين، ذهبتا الى المطبخ. وكانت هارييت هناك تنظف الفضيات، تساعدها فاني.

ثم قالت شيلا متوسلة «هارييت! هل تستغنين عن فاني لدقائق قليلة؟»

لقد وصل الدجاج، واظن ان من المبهج ان نضعه نحن انفسنا في بيت الدجاج! اود ان ارى كيف يرون ذلك؟»

ضحكت هارييت «نعم - يمكن لفاني ان تذهب. اذهبي يا فاني - ولكن انتهي من تنظيف تلك الفضية حين تعودين!»

«أوه، نعم يا خالتي» قالت ذلك فاني وجرت مع الطفلتين... كان الدجاج لا يزال في الصندوق الكبير المربوط في مؤخرة العربة. وكان يقرق بصوتٍ عالٍ فصاحت شيلا جذلة «أوه، ومعها ديكٌ بديعٌ ايضاً. انظرا الى ريش ذيله الجميل بارزاً من فتحات القفص! فاني، كيف سنضع الدجاج في بيته؟»

فقالت فاني «سنحملها. وسأريك كيف.»

حلَّ الثلاثة الحبل الملفوف حولـا القفص. ورفعت فاني اعلى القفص وادخلت ذراعها، وامكست بدجاجة، فأطلقت الدجاجة صوتاً حاداً عالياً وكافحت بشدة. ولكن فاني كانت تعرف كيف تهدئها وتحملها. وأرت الاخريين كيف تأخذان

الدجاج بمسكها من اطراف ارجلها وبكل ثبات، ثم خفض الجناحين بنفس الوقت. قالت لهما «ضعا الدجاجة تحت الذراع الايسر وهذا هو الصحيح. والان فان اليد اليمنى هي التي تمسك بالرجلين ونأخذها هكذا الواحدة بعد الاخرى.»

تمتع الثلاث بحمل الدجاج القارق، واحدة واحدة، وهكذا حتى نقل جميع الدجاج الى بيته الكبير، لقد كان هناك عشرون دجاجة اوربنكتون وديك جميل واحد.

قالت شيلا فرحة «السن دجاجات محببات. يظهرن سمراوات وبراقات، وسمينات ومرتاحات. احبها. انظرا كم هي مستقيمة الاعراف!»

وقالت فاني «انها دجاجات شابة وجيدة وسيبيضن على احسن وجه. فعشرون هو العدد الصحيح للبيت وبالنسبة للفناء. ولو كان لديكم دجاج اكثر فسيكون المحل مزدحماً، وتسوء بذلك صحتها. اقولها بصدق بان عمكم قد اختار لكم احسن الدجاج، وتبدو صحيحة سليمة كأحسن ما يمكن ومن الاحسن دائماً ان تبدأ بأحسن انواع الدجاج الذي تحصل عليه.»

قرق الدجاج في ارجاء البيت ثم وجد الفتحة المؤدية الى لوحة السلم نحو مجال جريها وعندها هبط يخطو بحذر ورؤوسها تهتز* في سيرها. كانت تقرق «كلك ـ كلك» وهكذا كل

واحدة منها وهي تبلغ المجال «كلك ـ كلك» وقالت پيني «هل سمعتما ذلك؟ تقول انها محظوظة ان تكون هنا.»

«كلك ـ كلك» صاح الدجاج ثانية ونقر بعض سوقل اللهانة التي جاءت بها فاني من المطبخ.

وقالت فاني «سنعطيها بعض الحب لتلتقط». وذهب الثلاث الى صندوق الحبوب واخذت كل منهن حفنة، ونشرن الحبوب في محل التجول، فركض الدجاج اليها يقرق وينبش. احصتها شيلا «ديك واحد ـ وتسع عشرة دجاجة فقط، اين الدجاجة العشرون؟»

لقد كانت الدجاجة المفقودة في احد صناديق الحضن، تضع بيضة وصاحت فاني مطلقة صوت ابتهاج. «لابد انها شعرت كأنها في بيتها لتقوم بمثل هذا العمل هكذا مسبقة! شيلا لنر ما اذا كان احدها قد باض في القفص وهي في طريقها الينا»

وذهبت البنات للبحث ـ فوجدت بيضتين لماعتين سمراوين في قاع احد الاقفاص، وكم كان سرورهن عظيماً! وهنا قالت شيلا «سأحتفظ بسجل خاص ببيض الدجاج ادون فيه كل بيضة تباض! وبهذا اعرف مقدار ما احصل عليه من نقود من دجاجاتي، لاني ساعرف سعر السوق للبيض في كل اسبوع ثم اعمل حسابي وسيكون ذلك ممتعاً.

يا للعجب، لقد وجد القفص جديد

فصاح روري ضاحكاً «أوه، لقد قام* البيات بانفسهن، يا للخسة، فلا عجب ان رأيتهن ينسللن خارجات بهدوء، انظر، ان جميع الدجاج في محل الجري يا عمي، اليس ذلك بديعاً؟»

وذهب كل واحد للفرجة على الدجاجات البنية، وكانت هادئة مطمئنة وهي تنقر الحب هنا وهناك.

وقالت شيلا متباهية «احداهن تضع بيضة، وسأدخلها في سجل البيض».

وهنا قال ابوها «ستقوم شيلا بتدبير امر الدجاج لنا. وسترى ماذا سنفعل من عمل حسن!»

وقالت الخالة پيس «وهل هي تفهم كل شيء عما تفعله؟ المعروف ان الاطفال هم الذين ينثرون الحب احياناً لها، ويلتقطون البيض، حين يكونون في صحبتنا ـ ولكنهم في الحقيقة لا يعرفون كثيراً عن تربيتها.»

فقال العم تيم «هل حصلت على حبيبات رملية وعلى قشور المحار يا شيلا؟ وعلى ماءٍ نقي، وحب! وجريش! اجد انك قد درست بعض الكتب.»

فقالت شيلا «حسناً، حاولت دراسة الكتب التي اعطاني اياها ابي، ولكن فاني في الحقيقة قد علمتني اكثر ما يجب علي ان افعله. وسأجعل دجاجاتي حتى خيراً من دجاجاتك يا عم تيم، سترى!»

قال عمها «ارجو ان تفعلي ذلك، ثم ساتي واتعلم منك بعض الدروس في تربية الدواجن.»

كانت تربية الدجاج ممتعة حقاً. وحسبت شيلا انها عرفت اموراً كثيرة في ايام قليلة. ولو ان الاخرين لم يخبروها الا عن امر او اثنين. وكانوا في باطنهم يعتقدون انها لا تستطيع ان تعمل.

كان شيئاً بهيجاً ان تذهب وتنظر الى صناديق البيض. وقد حصلت شيلا في احد الايام على عشرين بيضة وكانت مسرورة الى درجة انها لم تدونها في سجل البيض. واعتادت هي وبيني ان تذهبا الى صناديق البيض كل صباح ومساء لالتقاطه. فاذا كان الامر يخص البيع، فان الاطفال ينظفونه ويصنفونه حسب حجمه.

كانت شيلا تقول كل صباح «اود ان اكل البيض الذي تضعه دجاجاتنا، وينبغي ان اقول بان البيض البني اللون يبدو الطف مذاقاً، ولو اني لا اعرف لماذا.»

اطلقت للدجاجات حرية التجول في الحقل، فكانت سعيدة

حقاً حيث كانت تنقر هنا وهناك في كل مكان وتجعل المكان مليئاً بقرقها.

وكان الديك رائعاً، حين يمد عنقه ويصيح عالياً، وكانت ريشات ذيله بديعة حقاً، بالوانها الارجوانية والخضر والزرق.

وقالت شيلا «انه شخص نبيل، كما تعلمين يا پيني. لا يعجل باخذ شيء ما بل ينتظر دائماً حتى تاكل الدجاجات انظري ـ انه حين يجد قمحاً اوذرة لا ياكلها هونفسه، راقبي ها هو ذا قد عثر على واحدة وهو يدعو احدى دجاجاته اليه لتلتقطها. حقاً ان له سلوكية جيدة.»

وجدت الفتاتان نفسيهما مشغولتين تماماً بالدجاج. فالبيت كان ينظف من البقايا كل يوم، والماء النقي يوضع في الجردل في موقع التجوال، وفي الاناء في البيت الدجاجي ايضاً. وكان الصندوق مليئاً بقشور المحار، وهارييت تطبخ الفضلات وتعطيها لشيلا قبل الافطار. وكانت البنتان بعد ذلك تمزجان هذا الغذاء مع الجريش الذي تاخذانه من الخزانة وتقدمان ذلك نصيباً حسناً للدجاجات الجائعة.

وفي منتصف النهار كانتا تطعمانها الحب وشيئاً من الجريش ثم مرة ثانية في المساء.

واثناء الليل تغلق شيلا وپيني بيت الدجاج بعد ان

يدخلنه. وتبتهجان لرؤيته جاثماً هنا وهناك وبسكينة وكانتا دائماً تحصيانه ليلاً للتأكد من ان جميع الدجاجات في الداخل.

كان ابواهما مسرورين بالطريقة التي يتبعانها في تربية الدواجن، وقالا لهما «انتما تستطيعان تدبير ذلك بصورة جيدة».

وكان الولدان في شوق للقيام بنصيبهما من العمل ايضاً، وكان يسرهما ان يسمعا بان الابقار آتية عن قريب. وقال روري «ستكون المزرعة مزرعة حقيقية عندئذ، ثم سأل: كيف ستاتي الابقار يا ابي؟ أتاتي بالقطار؟»

فقال ابوه «كلا، بل تاتي ماشية، فالمسافة بيننا وبين السوق قريبة وهي ستاتي سالكة السبل والازقة.» وقال العم تيم، ينبغي ان تكون البقرات ذوات قرون قصيرة وبهذا تكون غزيرة الحليب لذيذة اللحم.

وسأل روري «وما الوانها؟»

وقالت امه «الاكثرية حمر وبيض، واستطيع القول بان من المبهج ان تنظر عبر النافذة وتشاهد البقرات واقفة في المرعى. انا دائماً احب البقرات هكذا.» وقال پينجي «انا اتطلع لحلبها، وان ذلك امر هين.» وسألت پيني «اظن انها ستتغذى بالحشيش، وهذا لا يكلف غالياً.»

فقال ابوها «أوه، لن يكون الحشيش وحده كافياً لها بل ينبغي ان نعطيها، اللفت والشمندر. وبوسع الاولاد نقله بالعربة كل يوم الى الحقول ورميه على الحشيش.» كانت السقائف نظيفة مهيأة للابقار. اذ كان يجب ان تحلب هناك، وكانت سطلات الحليب لماعة معقمة، وكل شيء جاهزاً.»

وقالت الام «حين تكون عندنا ابقار حلوبه سيكون لنا حليبنا الخاص ويكون بامكاننا استخراج القشدة والزبد الخاص بنا ايضاً اني اتطلع الى ذلك».

وسأل بينجي «متى ستصل الابقار، اريد ان ارعاها.»

قال الاب «غداً بعد الظهر، كما اتوقع. وانه لشيء حسن ان يكون في المزرعة هكذا جداول كثيرة ـ وعندها لن نحتاج الى نقل الماء في عربات الى جداول الماء في الحقل ـ فالابقار ترد الماء بانفسها».

قالت بيني بحسرة «أرغب ان تصل الابقار غداً. اريد ان ارى ابقارنا! هل تعتقد ان لها اسماء قد اطلقت عليها من قبل يا روري؟ ام اننا سنعطيها اسماءها؟ اود لو اسميها جميعاً فانا اعرف اسماء ابقار جميلة.» قال روري مبتسماً في وجه بيني الجاد «اية اسماء تعرفين؟»

شرعت بيني تقول «اوه، زهرة الربيع، وقدح الزبد، وكزبرة الثعلب، الهريرة،*»

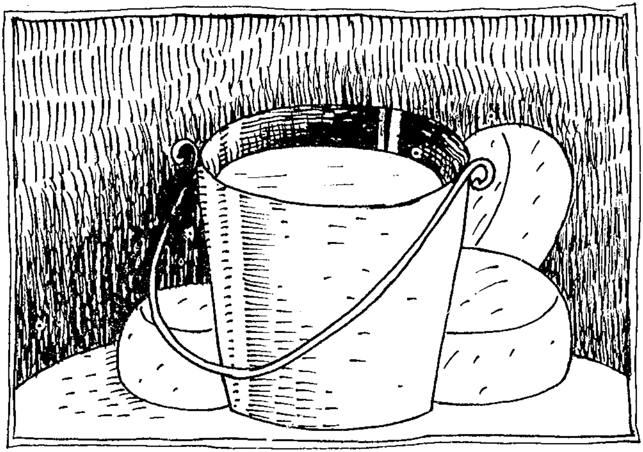
وقال روري «لماذا؟ انها اسماء ابقار مزرعة شجرة الكرز، لو كنت مكانك لاخترت اسماء جديدة.»

واخذت پيني تفكر باسماء اخر وبدأت «حمرة الجدي،* الـرودوندرون، الحمـامة، انف العجـل.» الا ان الاخـرين استغرقوا بضحك عالٍ .

قالت شيلا «تصور انك واقف في بـوابة الحقـل وتنادي رودندرون، رودندرون، عندها يظن كل واحد انك قد جننت.»

فقالت پيني بثبات «حسناً، على كل حال، سأسمي بعض البقرات فانا اريد ان افعل ذلك، وسأكون غـداً بانتظـارها وارى ايها تشبه احد الاسماء التي سميتها.»

ـ الفصل التاسع ـ



«ست عشرة بقرة لمزرعة الصفصاف»

وصلت الابقار في اليوم الثاني قبل موعد الشاي تماماً. وكان روري اول من شاهدها فقد كان يتأرجح بالبوابة بانتظار الترحيب بها في البيت الجديد. وكان الاخرون قد ذهبوا لمشاهدة النطاط يتقافز بين الدجاج في المزرعة. وكان الحمل الان اكبر حجماً، نطاطاً ومتوثباً كأي حمل اخر في المزرعة.

أحبه الجميع، فقد كان مخلوقاً ودوداً. حنوناً، حتى انه دخل في مكتب والد پيني في صباح احد الايام، ومرغ وجهه الاسود بذراع الفلاح!

«هيه، الابقار قادمة، الابقار قادمة» صرخ روري وهو يكاد يسقط من البوابة اهتياجاً. «اسرعوا ايها الاخرون، الابقار قد وصلت، انها مدهشة!» هرع بينجي وشيلا وبيني نحو البوابة وشاهدوا الابقار في منحنى الزقاق وهي تسير متباطئة تتمايل قليلاً من جانب الى اخر في مشيها. وصاح روري. «انها حمر وحمر ـ بيض، انه الصنف الذي احبه تماماً، السن جميلات وسمينات؟»

كنَّ يظهرن فعلاً أبقاراً جيدة، وكن يحدقن بالاطفال وهن يجتزن البوابة ويخفقن بذيولهن، كن مبتهجات لدخولهن البوابة ونتف الحشيش.

قالت بيني «انها تلوي السنتها حول الحشيش حين تقتلعه، انظروا ـ ها هو تاميلان مع الراعي خلف الابقار.»

كان هناك تاميلان حقاً، جاء ليرى كيف كانت تسير المزرعة، وابتسم للاطفال وقال «واذاً فلديكم ابقاركم الخاصة الان! ودجاجكم ايضاً، وهذا الحمل، هل يعود لك يا بيني؟ يبدو انه وثيق الصلة بك!» «اجل ان النطّاط لي.» قالت بيني وهي تحتضن تاميلان ثم تحتضن الحمل «اوه، تاميلان أليست ابقارنا جميلة؟»

فقال تاميلان «اجل تبدو مخلوقات جميلة، اعندك اسماء كثيرة لها يا بيني؟»

فقال روري «أوه، لا تسلها عن ذلك! فهي تفكر وتفكر في اسماء! تاميلان اليس ممتعاً حلب الابقـار كل يـوم؟» قال تاميلان «أجل انظر اليها جميعاً، كم هي مسرورة انها تقوى على الوقوف وتحدق بعد مشيها الطويل. وستشرع بعد قليل جميع معدها الاربع تعمل بنظام الان!» قالت شيلا متعجبة «أربع معد! ماذا تعني يا تاميلان؟» هل للبقرة أربع معد!»

قال تاميلان ضاحكاً «ربما من الاصح القول بان لها اربعة تجاويف في معدتها. راقبي بقرة تأكل يا شيلا انها فقط تقطع الحشيش وتبتلعه ـ انها لا تلوكه، راقبي واحـدة وعندهـا سترين.»

راقب الاطفال البقرات، فرأوا ان كل واحدة كانت تلف لسانها حول نصول العشب وتقتلعـه وتجره الى فمهـا، ثم تتبلعه فوراً.

قال پينجي «نعم، شاهدت بقرة تلوك وتلوك وتلـوك، انه يدعى الاجترار، اليس كذلك يا تاميلان؟»

قال تاميلان «هو كذلك، وما يحدث انها حين تبتلع العشب مباشرة فانه ينحدر الى تحت، الى القسم الاول من معدتها، ثم حين تكون في زريبتها، او مضطجعة تستريح، فان العشب المبتلع يصعد الى فمها على شكل كرات جاهزاً للعلك. وبعد ذلك يكون لديها متسع من الوقت للعلك لفترة. وهي تتمتـع

بذلك، انتظر لتشاهدكم فهي تحب ذلك، لانها نصف مغمضة العينين، تفكر في اشعة الشمس المشرقة والحقول التي تحبها.»

قالت پيني راغبة في ان يكون لها هي ايضاً اربع معد «هل يعود الطعام الى القسم الاول من معدتها ثانية. اود لو ابتلع حلوى ثم استرجعها لالوكها في وقت احس به اني احبها.»

ضحك تاميلان قائلاً «اظن ان بامكانك ذلك! كلا حين تكون البقرة قد انهت الاجترار، يذهب الطعام الى الاسفل، الى القسم الثاني من معدتها، ثم من هناك الى القسم الثالث فالرابع. ولكن هل سبق لك ان شاهدت الاسنان العليا للبقرة؟» «كلا، ماذا تشبه؟» قالت پيني مندهشة. وهنا قام الرجل المتوحش واتجه نحو بقرة واخذ بانفها بيده وفتح فاها ورفع الشفة العليا وقال مبتسماً «قولي لي ما هو شكل أسنانها العليا؟»

قالت شيلا «يا آلهي، ليست لها أسنان!» قال روري «كلا بل لها نوع من طبقة لبّادية عارية».

قالت پيني «كم هو ممتع، ولكن للحصان اسناناً في فكه الاعلى ـ انا اعرف ذلك، لاني رأيت مرّة حصاناً يرفع شفتيه وكانت له اسنان في الاعلى والاسفل من فكه ايضاً.»

قال تاميلان «نعم، الحصان يختلف، فهو لديه معدة

واحدة، وحوافـره تختلف ايضاً، انظـروا الى اظلاف هـذه البقرة!»

ثم رفع القدم الاولى من بقرة مشدوهة، وشاهد الاطفال انها مشطورة الى شطرين.

فسأل روري متعجباً «لماذا هذا؟ للحصان حافـر واحد مستدير فقط، وظلف البقرة منفلق الى جزءين.»

فقال تاميلان «لأن البقرة تسير على ارض ناعمة مبتلة، وظلفها المشقوق يعينها على ان تقوم بذلك من دون ان يغرز في الارض».

فقالت پيني «احب الطريقة التي تحرك بها الابقار ذيولها. فهذه كانت تحرك ذيلها بعيداً بحيث كادت تضربني. اود لو ان لي ذيلاً كذيل البقرة!»

قال تاميلان «وهكذا يكون بوسعك ان تتجولي وتضربي به الناس كما ارى؟

والان يا پيني، سأطرح عليك مشكلة صغيرة، احب ان اعرف ما اذا كانت البقرة او الحصان ينهضان من الارض في وقت واحد؟ هلا تراقبين ذلك من فضلك وتقـولي لي في المرة القادمة حين نلتقي؟»

قالت الصغيرة مندهشة «اظن انهما سينهضان سوية في وقت واحد وبنفس الاسلوب»

«حسناً، ليس الامر كذلك» قال تاميلان «فقط لاحظي».
وهنا قال روري الذي كان يعد «لدينا ست عشرة بقرة، وكلها سمان وحمر وجميلات. ومنظرها رائق من الخلف، كأنها متخشبة»

قالت شيلا «لنذهب ونسأل الراعي عن وقت الحلب، فانا مشتاقة للقيام بهذا العمل».

كان الراعي يتحدث مع ابيهم، وكان شخصاً صغير الجسم بكتفين عريضتين وذراعين طويلتين، وبالرغم من صغر جسمه فقد كان قوياً للغاية، وكان والد الاطفال قد احتفظ به في المزرعة لانه كان رجلاً نافعاً فيما يخص الابقار، وحسناً في اشياء اخر ايضاً. وكان اسمه «جيم». قال پينجي «هل بوسعنا حلب الابقار؟ وما هو ميعادها؟» قال الرجل مبتسماً «لا اقل من* ١٠٤ الوقت الذي بعد شرب الشاي، هل أنت متاكد بانك تعرف كيف يتم ذلك؟ ان الحلب ليس يسيراً كما يبدو وانت تعلم!»

قال پينجي «طبعاً اعرف كيف، وسأحصل على رغوة رائعة فوق سطح سطلي ايضاً.»

فقال جيم «هذا جميل، الحّلاب الجيد يحصل على رغوة دائماً. حسناً ـ بوسعك المساعدة اذا احببت، فأنا أستطيع ان اقوم بالعمل مع واحد او اثنين من الحّلابين الجيدين. فهل

ستنهض من النوم في الخامسة صباحاً لتساعدني يا سيدي الصغير؟ جعل ذلك پينجي ينكمش قليلاً ـ في الخامسة صباحـاً!

سأل امه «حسناً اذا كنت افعل، فهل عليَّ ان اذهب الى النوم مبكراً جداً؟»

قالت امه «أخشى ان يكون الامر كذلك يا پينجي، ساعة واحدة قبل الوقت المعّين في الاقل.»

«اوه، حينئـذ فـانـا اسف يـا جيم، ولكني اظن انني ساساعدك في المساء». قال پينجي الذي لم يحتمل فكرة ذهابه الى الفراش بساعة قبل الاخرين.

قال جيم «حسناً، استطيع آن احصل على شخص اخر يعينني في الصباح.»

كـان الاطفال مبتهجـين حين ان وقت الحلب. فسـاروا بالبقرات الى سقيفتها، وجاءوا بالسطول اللماعة وبالمقاعد للجلوس من اجل الحلب.

لم تكن پيني قد حلبت من قبل. ولكن الاخرين كانوا قد قاموا بذلك. وكان پينجي حلاباً ماهراً، وكانت يداه قويتين ورقيقتين. وكذلك شيلا حلّابة جيدة ايضاً الا ان روري كان يجهل ذلك. وما كان قادراً على ان يجعل الرغوة تعتلي الحليب في سطله، في حين كان الاخرون يقدرون على ذلك. وكان هذا مثيراً للانزعاج!

قال «لا احصل الا على حليب املس، وسطلي ليس مملؤاً حليباً كما هو الحال معكم. انظروا الى جيم لقد حلب ثلاث بقرات، وانا حتى ولا واحدة بالتمام. قال جيم «بالاحرى فان البقرة التي معك مشاكسة، لا تحب ان تعطي حليبها لغريب، وساقوم بحلبها لك. ان الحليب الاخير من البقرة هو دائماً الاغنى، كما تعلم، فلابد لنا من الحصول عليه. حاول ان تجرب البقرة الثانية «ديزي» كما يسمونها. انها سهلة طيعة في الحلب». «أحب هذا الحليب الدافىء» قالت پيني وهي تمس سطح سطل مملوء بالحليب. ـ

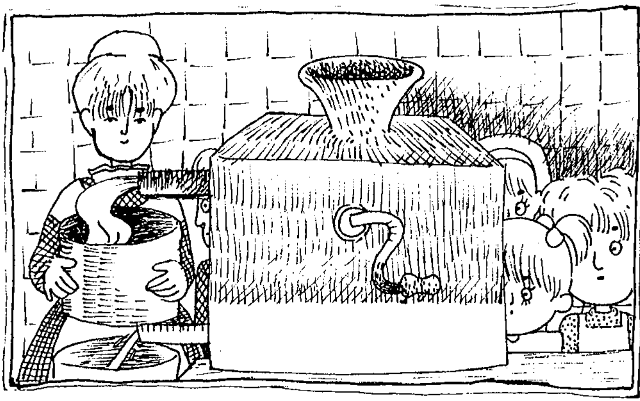
«جيم، هل اجرب انا حلب بقرة طيعة سهلة؟» قال جيم «تعالي بقربي وراقبي. ثم حاولي.»

وهكذا وقفت پيني ازاء جيم وراقبت، وشعرت انها تستطيع ان تفعل ما كان يفعل ـ الا ان اناملها الصغيرة لم تكن قوية بما يكفي للحلب فتركته. وسألته «هل لي بقليل من الحليب لحَمَلي؟، انه وقت عشائه.» قال جيم «كلا، اذهبي الى البيت وخذي بعض الحليب القديم من المطبخ، واطعمي حملك به. انظري اليه يتشمم السطل هناك! يا الهي لا نريده ان يفرغ السطول كلما نملأها.»

وهكذا ذهبت پيني الى المطبخ. وقالت «انت تعلم يا نطاط اني احب الحملان اكثر بكثير من الابقار! ولكن ارجوا الا تكبر

وتشب سريعاً، فهل تفعل؟ لانك لن تكـون حلواً حـين تكون خروفاً!»

ـ الفصل العاشر ـ



ـ ابتهاج في الملبنة ـ

كان العمل متواصلاً في مزرعة الصفصاف، وكان هناك ما يلزم عمله كل يوم، حيث ينبغي اطعام الدجاج والعناية به، واخذ البيض وعده، وحلب الابقار، وحمل اللفت الابيض بالعربة الى حقلهم ومنه. وكان يلزم وضع الحليب في الملبنة لعمل القشدة. ـ والزبد يجب ان يحضر!

كانت الملبنة مكاناً محبباً، فهي كبيرة وذات تهوية وباردة وكانت القاعدة حجرية والجدران والسقف بيض مغسوله، وجميع الرفوف من الحجر ايضاً باردة للغاية في الداخل حين تكون الرياح شرقية او شمالية، وفي الصيف ستكون مكاناً

بارداً محبباً، انه أبرد مكان في المزرعة.

كانت امهم تحب الملبنة كثيراً، وقد سُرّت حين أتت الابقار لانها ستعمل زبدها الخاص. وقد اشتاق الاطفال لرؤية كيفية عمل الزبد،

سأل روري «ماذا سيعمل بكل حليب الابقار؟ اذ سيكون لدينا كثير من الغالونات كل يوم!»

قال ابوه «حسناً، سيباع البعض في جرار كبيرة. وسنحتفظ بالبعض لنا، ونستخرج من قسم منه قشدة نبيعها، - والحليب الخالي من القشدة سيعطي للحملان او العجول حين يكون لنا منها شيء، والباقي من الحليب نستخلص منه الزبد». فقالت شيلا «كل ذلك يبدو محبباً. ولكن هل سنصب الحليب دافئاً في جرار الحليب يا ابي؟»

فقال ابوها «كلا، أبداً، لن نرسل الى الخارج حليباً دافئاً لانه بهذا سيحمض ولذا لابد ان يبرد.»

وسأل پينجي «وكيف تقدر على تبريده. توجد اشياء كثيرة ممتعة في الملبنة يا ابي، فهل فيها اداة لتبريد الحليب؟» «تعال لترى في المرة الثانية حين يؤخذ الحليب الى الملبنة.» قال ابوه، وهكذا هرع الاطفال الى الغرفة البيضاء الباردة ليشاهدوا ما حدث ذلك المساء.

قالت امهم «هل ترون ما يشبه الصندوق هناك مثبتاً في

الجدار؟ انه نوع من الثلاجة ـ ماكنة تبريد الاشياء. وانظروا الى هذا الانبوب الممتد اليها ـ انه يأتي اليها بالماء البارد، وفيها عدة انابيب لحمل الماء المتجمد برداً»

صبّت الام بعض الحليب في مغرفة كبيرة موضوعة اعلى الماكنة. فسال الحليب في الانابيب ثم سقط في جرةٍ الحليب الكبيرة في الاسفل وكان اذ ذاك بارداً.

قال روري مسروراً «ذلك حذق وهل افترض ان الحليب في الجرة جاهز لاخذه الى المدينة لبيعه يا امي؟» قالت امه «نعم، انه جاهز، وقد اخذ ما نحتاج نحن اليه منه الى هارييت في المطبخ.»

سألت پيني «وماذا سُيعمل بهذه السطول الكبيرة المملوءة بالحليب الدسم؟»

قالت الام «نستخلص منه الزبد، ويا لللاسف فان فرازنا لم يصل بعد، ولذلك يلزم ان نقوم بفرز زبدنا وقشدتنا بالاسلوب القديم، وننتظر حتى ياتي فرازنا لنقوم بذلك العمل بسرعة اكثر.»

وضعت الام الحليب في مغارف ضحضاخة كبيرة كانت موضوعة فوق الرفوف الصخرية.

وسأل پينجي «ماذا سيحدث للحليب الان؟ أظن ان القشدة سترتفع الى الاعلى، كما حصل في قنانينا في البيت؟»

فقالت الام «نعم، تعرفون ان السائل الخفيف يعلو دائماً على السائل الكثيف، ولما كانت القشدة أخف من الحليب، فانها ستصعد الى السطح اذا تركتها تفعل ذلك.» وهنا سألت پيني «وكم من الوقت يستغرق صعود القشدة جميعها الى السطح؟ عشر دقائق؟، اريد ان اصنع زبداً منها.»

ضحك الجميع، فپيني كانت دائماً نافذة الصبر تتوقع حدوث الاشياء في الحال.

قالت الام «پيني، لا تكوني حمقاء، سيستغرق ذلك أربعاً وعشرون ساعة.»

قالت پيني «يا آلهي، لا أقدر ان انتظر لأرى القشدة تحدث بعد كل ذلك الوقت. وهل لا نستطيع عمل الزبد هذا اليوم اذاً؟»

قال روري «كلا، ينبغي ان يكون عندنا ما يكفي من القشدة من حليب كثير، وعلينا ان نختزنه بعض الوقت وننتظر الى ان يكون لدينا ما يكفي ان نمخضه زبداً»

وهكذا كان على پيني ان تصبر الى اليوم الثاني لترى القشدة وقد استخلصت وخزنت لعمل الزبدة. احب الاطفال رؤية القشدة الصفراء الغنية مطروحة بلطف فوق سطح المغارف. فغمست پيني فيه اصبعها وحركت القشدة وكانت صلبة كعسل السكر ـ قالت شيلا «پيني لا تفعلي، ارفعي

يديك عن الاشياء استخلصت الام القشدة بعناية ولطف ووضعتها في قدر كبير بارد. وكان ذلك منظراً رائعاً، كما وضعت الام كذلك قدراً منه في ابريق ايضاً.

سألت پيني «أوه، هذا لماذا؟»

قالت الام «لحسائكم غداً صباحاً، خذوه الى هارييت حين تذهبون».

قالت شيلا «وماذا سيصنع بالحليب المتروك الذي يبدو أزرق؟»

قالت الام «يمكن ان يعطى للخنازير حين تاتي غداً. والعجول تحبه ايضاً. ولكن ليس لدينا عجول الان. إنه حليب منزوع لاننا قد استخلصنا منه القشدة.»

وسمعت اذ ذاك ضجة في الخارج، وظهر جييم حاملاً شيئاً ما يبدو ثقيلاً بعض الشيء فوق كتفيه العريضتين. وكان مغلقاً بشكل متقن.

صاحت الام فرحة «يا آلهي، انه فرازنا تعالوا جميعاً لفك اغلفته».

قال روري، مسروراً «ليس علينا الان ان ننتظر القشدة دهوراً لكي تفرز هي بنفسها من الحليب. بوسعنا فرزها في دقائق قليلة.»

اراد كل واحد منهم ان يرى كيف يعمل الفراز وكان قد بدأ

ماكنه غريبة الشكل حين حُلت اغلفته.

كان القسم الاكبر منه مصبوغاً باللـون الاحمر اللمّـاع النظيف. وفي اعـلاه مغرفـة كبيرة. ومقبض كبـير في احـد جوانبه، ويبرز انبوبان من القسم الاوسط فيه. كـان فعلاً يشبه ماكنة شغل حقيقية.

صبَّ جيم ماءً في الفراز لينظفه وقال «اعتقد ان بوسعكم استعماله في الحال. انه ماكنه جديدة، جاهزة للاستعمال.»

فقالت الام «صب في المغرفة حليباً طازجاً يا روري». وصبَّ روري الحليب فملأ المغرفة.

وامسكت شيلا بالمقبض لتديره «أشعر كأني ادير مقبض أرغُن ضخم، ولن ادهش اذا ما بعث الفّراز الحاناً.»

قالت الام ضاحكة «حسناً، اود ذلك، استمري على ادارة المقبض يا شيلا، وانتم ايها الاطفال راقبوا هذين الانبوبين اللذين يخرجان في المقدمة».

اخـذ الجميع يـراقبون، ولـدهشتهم شاهـدوا القشدة الكثيفة الصفراء تـاتي من الانبوب الاعـلى؛ ومن الانبوب الاسفل كان يخرج الحليب المنزوع القشدة.

قال روري «اليس ذلك مهارة؟ اعرف لماذا تسمى هذه الالة فرازة ـ انها فعلاً تفرز الحليب من القشدة. وبما ان القشدة أخف السائلين فهي تخرج من الانبوب العلـوي، والحليب

يخرج من الانبوب السفلي لانه اثقل.»

قالت الام «أجل ان هذه الماكنة الحاذقة تعمل في دقائق قليلة ما يستغرق عمله وقتاً طويلاً اذا كان يدوياً.»

ثم فتح روري باب الفراز الامامي على مصراعيه حين فرز جميع الحليب. وكان نظيفاً في داخله وأحب الاطفال كيفية عمل الاجزاء فيه وحاولوا تتبع ما قد حصل ولم يكن ذلك صعباً.

وقالت الام «هذا كثير من القشدة لنا، صب حليباً اكثر يا روري، وانت يا پيني عالجي المقبض الشبيه بالارغن الضخم الان.»

كان ممتعاً مشاهدة الحليب والقشدة يتدفقان من الانبوبين، وتوسل الاطفال للعمل بالفرّاز بالتناوب كل اليوم، واجابت امهم بالايجاب.

قالت «انه جزء من العمل في المزرعة وعليكم ان تقوموا بنصيبكم ولكن لا تأتوا الي وتقولوا بأنكم تعبون من استعمال الفرّاز في ظرف اسبوع، لاني لن اصغي لكم بالتأكيد.»

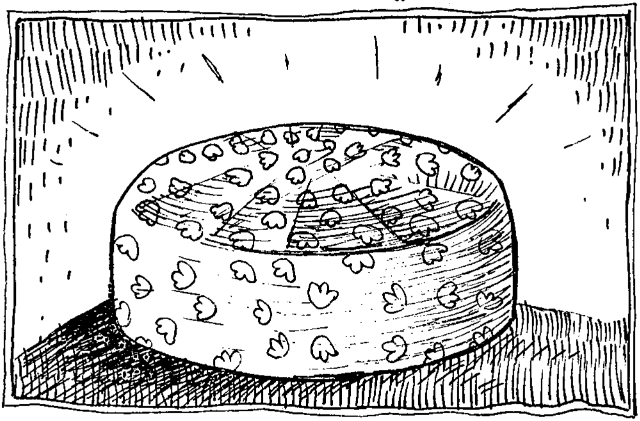
لم يتصور الاطفال انهم سيتعبون من اللعب بالفرّاز. لانهم كانوا فقط في شوق لمخض الزبد ومشاهدة صنعه وكان على هارييت ان تقوم بصنع الزبد والام تساعدهما.

وهارييت كانت فتاة لبانة من قبل وجيدة في عمل الزبد. ثم

قالت للاطفال بجدية «تعلمون ان الزبد ياتي زبداً جيداً مع اناس ورديئاً مع اخرين. والان فأنا سأقوم بصنع الزبد في أيام الاحد الثلاثاء فان كان احدكم يريد ان يساعد فبوسعه ان ياتي الى الملبنة.

قال الاطفال سوّية «حسناً، كلنا سنأتي، ولن يفوتنا عمل اي شيء في مزرعة الصفصاف.»

ـ الفصل الحادي عشر ـ



«الزبد والجبن»

في يوم السبت التالي انطلقت هارييت الى الملبنة الباردة، وكانت اشعة الشمس مشرقة في الخارج. فقد كان الوقت منتصف شهر نيسان ـ والربيع وشيكاً، ولكن الملبنة كانت دائمة البرودة.

كان في القدر البارد كثيرمن القشدة، وكان على هارييت ان تجعل منها زبداً. اختلست پيني النظر في داخل الملبنة والنطاط وراءها.

سألت «هل ستبدأين يا هارييت؟ هل لي ان اخبر الاخرين؟»

قالت هاربيت وهي ترفع اردانها «نعم» ولكن فقط اتركي الحمل وراءك، ارجوك يا آنسة پيني، لم أر قط مثل هذا المخلوق الذي يدس أنفه في كل شيء! سيلتهم كل قشدتي الثمينة حالما يراه. اتركيه خارج الملبنة، هل تعلمين انه دخل في مخزني هذا الصباح وقضم الجبن؟»

قهقهت پيني فقد كان النطاط حملاً مدهشاً، يفعل على الدوام اكثر الاشياء غير المتوقعة. وذهبت لجلب الاخرين - وجاءوا الى الملبنة مزدحمين.

كانت مخضة الزبد في الوسط. وكان منظرها ممتعاً. فقال روري «انها برميل متين مرفوع على خشب يسنده. ويوجد مقبض لادارة البرميل مرات ومرات.»

وقالت هاربيت «جميع المخضات اليدوية تشبه هذا، وهذا معمول من خشب الزان. وكان اخر مخض لدي معمولاً من شجر الصنوبر - ولكني اقول دائماً بان الزبد ياتي اسرع من مخض الزان.»

صبّت هاربيت القشدة السميكة الصفراء في المخض ذي الشكل البرميلي. وثبتت غطاءه ثم اخذت المقبض وادارته بقوة وانتظام. فشرع البرميل يدور ويدور في الحال ويتأرجح بلطف.

وقالت شيلا «ما احلى الصوت الذي تحدثه القشدة وهي

تتطاير في الداخل» واصغى الجميع، فسمعوا القشدة تنقذف بعنف في داخل انحاء المخض.

وسأل پينجي «لماذا تديرين المخض مرات ومرات كهذه؟ أتلك هي طريقة صنع الزبد من القشدة؟ اعرف اني في احدى المرات ساعدت طباختنا لخفق القشدة من اجل تزيين الهلام ثم خففته بعد ذلك بشوكة لبرهة فتصلب جميعه.» «اوه، نعم، ان القشدة تتصلب حين تخفق.» قالت ذلك هاربييت وهي ماضية في ادارة المخض بالمقبض. وكان وجهها محمّراً، وجسمها حاراً.

ثم قالت شيلا راجية «دعي لي الدور، وسأقوم به بالسهولة التي تقومين انت بها.»

وتناوب الاطفال العمل بالمخضة، ولو ان پيني وجدت المخضة ثقيلة بالنسبة لذراعيها الصغيرتين.

وأخذت هاربييت المقبض ثانية، وأومأت برأسها في الحال. وقالت «الزبد آتٍ، احس به، فالمخضة اثقل من ان تدار.»

وقال روري وهو ينظر في ساعته «لقد استغرق الامر حوالي عشرين دقيقة. وهذا شيء سريع. هاربييت ارجوك، انزعي الغطاء ودعينا ننظر الى الداخل. لا اسمع تقاذفاً اكثر الان.»

وهكذا توقفت هاربييت عن الخضّ وأزاحت الغطاء. ونظر الاطفال كلهم في داخله، لم تكن هناك قشدة سميكة تُرى، بل

كتلٍ من زبد أصفر طافية في سائل حليبي اللون.

قالت هارييت «ذاك هو الحليب الزبدي الذي يعوم الزبد فيه، والان وبدورات قليلة اكثر سأحصل على الزبد!»

كان مثيراً حقاً رؤية الزبد يتكون من القشدة بهذا الشكل، وكان كالسحر بالنسبة لبيني وهكذا راقب الاطفال عن قرب هارييت وهي تصب الحليب الزبدي ثم راقبوها تغسل كتل الزبد لتتحرر من الحليب نهائياً. ثم اخذت ملقطي زبد خشبيين والتقطت الزبد، ووضعته جميعاً في صينية من الخشب ثم تناولت المحدلة الخشبية، وبيدين حاذقتين ضغطت وحدلت الزبد الى ان تخلص تماماً من أية رطوبة وصار قوياً وصلباً. ثم باتقان ورشاقة جعلته قطعاً ذات نصف رطل ورطل وزناً.

«ذاك هو» قالت وهي تنشف يديها بمئزرها «زبدٌ دسم، أصفر وصلب، بعضه للبيع وبعضه للاكل. وستكون لكم منه حصة في افطار الغد!» قالت شيلا «سيكون لدى أبينا ورق تغليف مطبوع لتغليف الزبد الذي يُباع، ومكتوب عليه «زبد مزرعة الصفصاف*، وسأكون فخورة حين أرى ذلك. هارييت، هل سنقوم بتغليف الزبد حين تصل الاغلفة؟» قالت هارييت «اذا كانت ايديكم نظيفة وتستطيعون تغليف الزبد باتقان، فساريكم كيف يتم ذلك بعد.» وقالت بيني وهي تضرب

بلطف المخض الخشبي بيدها «نعرف الان كيف تفصل القشدة من الحليب، وكيف نصنع الزبدة من القشدة.»

قال بينجي وهم يغادرون جميعاً الملبنة «أظن أننا محظوظون. فلدينا بيضنا الخاص بنا للافطار، وحليبنا للشرب وقشدتنا للحساء وزبدنا الخاص لخبزنا». قال روري «اتوقع ان سيكون لنا جبننا الخاص أيضاً. فهارييت تقول انها تقدر ان تصنع الجبن. وانها تصنعه من الحليب بان تضع نفحة التجبين في الحليب وهذا يعزل خثارة اللبن ومصل اللبن فيه. ثم تضغط الخثارة وبهذا يتكون الجبن.»

قالت پيني «ممتاز، كل ذلك يبدو سهلاً اذاً ساساعدها حين تقوم بذلك.»

كان الاطفال سعداء جداً، وكان الطقس لطيفاً، والشمس تشرق دافئة والعمل في المزرعة يسير بيسر. والدجاج يضع بيضاً بشكل جيد، والبقرات تعطي حليباً فاخراً، والزبد يعمل مرتين في الاسبوع في الملبنة

ـ الفصل الثاني عشر ـ



ـ في الحقول ـ

تقع الحقول حول بيت المزرعة وتنحدر باعتدال نحو سفح التل. وكان اكثرها يحادد بركاً صغيرة، تنمو على حافاتها اشجار الصفصاف. وكان للحقول اسماء احبّتها پيني وغنتها.

«الحقل الطويل، الحقل العالي، المرعى الاخضر، المرعى المتأرجح، القعر الطويل، مرجة البركة ألاجمة الصغيرة.»

كل تلك الاماكن كانت حقولاً مختلفة الاشكال والحجوم وقد عرف الاطفال في الحال كل شيء عن كل منها. كانت تُحرث

جميعها في الخريف. وقد رغب روري في مراقبة المحراث حين يعمل. وقال «أردت دائماً ان اقود محراثاً، اردت ان اساعد في الحراثة في الخريف الماضي حين كنا في مزرعة شجرة الكرز، ولكن العم تيم لم يأذن لي.»

وسألت پيني «لماذا يجب ان تحرث الحقول؟ يبدو لي انه هدر في الوقت قلب الارضٍ ثم تخديدها!» «لنسأل تاميلان، فها هو ذا قادم.»

قال روري وهو يلوح بيده للرجل المتوحش، الذي يسير بجانب السياج. وكان يأتي في الغالب ليراهم ويحكي لهم عن مختلف الحيوانات والطيور التي عرفها جيداً. بينما صاحت پيني حالما شاهدت الرجل «تاميلان، كيف هي صحة الارنب؟»

قال تاميلان «أحسن بكثير، فقد شفيت ساقاه ـ ولكنه لا يزال يضلع الان، وهو اكثر سرعة وأظن انه سيعيش معي في الكهف، ومع ذلك يبدو خائفاً من السير وحده في الحقول ما لم أتواجد معه.»

وقالت پيني «ارغب لو أن أرنباً يعيش معي». وقال پينجي «حسناً لقد حصلت على حمل، وهذا اكثر من كافٍ بالتأكيد. اتعرف يا تاميلان ان النطاط قد اكل غذاء جيم امس؟ واخذت جيم سورة الغضب.» فقد كان الغداء جبناً عثر النطاط عليه

فالتهمه ..وكان علي ان اجد له بعضاً من جبننا الذي صنعته هاربيت.»

قال تاميلان ضاحكاً «يظهر لي ان هذا الحمل اكثر شبهاً بالمعزاة. فالمعزاة تأكل كل شيء واي شيء كما تعلمون، وقد كانت لي واحدة مرّة، قد اكلت كتباً مرصوفة فوق الرفوف!»

وهنا سأل روري «تاميلان ـ لماذا يجب ان تحرث الحقول؟ انا اعلم ان البساتين تحفر، واعتقد ان الحراثة هي اسرع وسيلة لحفر حقلٍ كبير.»

فقال تاميلان «نعم، لا نستطيع حفر حقولنا الواسعة، وانما نقوم بحرث الارض لاننا نريد ان يتخللها الهواء والمطر والثلج يا روري. دعنا نشاهد المحراث هناك في السقيفة.»

فذهبوا لمشاهدته وأشار تاميلان الى النصل الفولاذي او الشفرة التي تدفع داخل التربة حين يسحب المحراث بوساطة الخيول قال «الشفرة الفولاذية العظيمة تقطع من الارض قطعة كبيرة، ثم تنقلب، والان انظر تلك الشفرة الاصغر في جانب المحراث، وهذه تدعى القاصّة لانها تقص باستقامة حافة الاخدود.»

«اما الحراث فيمسك بمقابض المحراث، اليس كذلك؟ انا متأكدة بان في وسعي ان احرث». قالت بيني وهي تمسك بالمقابض وتتظاهر بقيادة المحراث. «أجل تقدرين ان

تحـرثي».قال تـاميـلان وعينـه تطـرف «ولكن لن تحـرثي باستقامة!»

وقال پينجي «غالباً ما راقبت رجـل الحراثـة، انه يبقي المحراث مستقيماً باتقان، وهكذا تكون الاخاديد مستقيمة ايضاً، متقاربة بعضها من البعض الاخر. ففي مزرعة العم تيم كان صبي في بعض الاحيان يقود الخيول. يسير امامها ويقودها. وقد يدعني جيم افعل ذلك في هذا الخريف، حين يقوم بحراثة الارض ثانية».

قالت شيلا «يقول ابي انه لن يدع الخيول تجر المحراث في هذا الخريف بل سيقتني جرارة.»

فسألت پيني مندهشة «وما ذاك؟»

قالت شيلا «أوه، انها نوع من المحركات الصغيرة تساق بالنفط او الزيت، يمكن تثبيتها في مقدمة المحراث بـدلاً من الخيول، اليس كذلك يا تاميلان؟

ـ أبي يقول انه سيحصل على جرارة ذات عجلات مسرّفة*».

سألت پيني «لأي غرض؟ ستكون عندئذ شبيهة بالدبابة».

قالت شيلا متباهية بانها تعرف الكثير عنها «حسناً، ان حقولنا ناعمة التربة، وابي يقول ان العجلات المسّرفة* تمنع الجرارة من الغور في التربة. اقول ـ اليس من الممتع رؤية جرارة تسير! آمل اننا نقدر على سياقتها بالتناوب».

فقال روري فجأة «انظروا ماذا يُخرج جيم من السقيفة هناك؟»

فنظر الجميع وقال تاميلان «انه المحراث. الان سنشاهد عملاً فيه بعض الصعوبة في هذا الحقل.»

كان جيم يجّر على الارض هيكلاً حديدياً كبيراً على عجلات، وتحته اسنان حديدية طويلة، لم يدعها جيم تلامس الارض الى ان وصل الى الحقل حيث سيبدأ بالعمل وكان «دارلنك»* احد اكبر خيول المزرعة يجر المحراث وجيم في مقعد الماكنة.

وفي الحال شرع في العمل. وكان دارلنك يتهاوى في الحقل المخدد بثبات، ورأسه منحن الى الاسفل وهو يصعد التل. واطلق جيم اسنان المحراث الحديدية بقرقعة فنشبت* في التربة الجيدة.

وصاحت شيلا مسرورة «انظروا كيف يتخللها كلها! انه يقطع الاخاديد ويدوس الارض ويسحقها قطعاً غاية في الصغر. وستكون بهذا جاهزة كلها لبذر البذور حين ينتهي جيم من عمله.»

وقال تاميلان «الحقول المحروثة يجب ان تمهد لتهيئتها للبذر. ابتعدي يا پيني فجيم سينهرك ان لم تنتبهي. ولكن پيني ارادت ايقاف جيم فصاحت.» «جيم دعني اجلس في

المقعد لارى ماذا به، احُس.» فكشر جيم وكان يميل* الى پيني كثيراً فنزل ورفعها الى المقعد البني الكبير. وقرقع بدارلنك وتحرك المحراث الى الامام، وكادت پيني ان تنزلق من المقعد لولم يكن جيم ممسكاً بها.

قالت «اوه، انه مقعد صعب، هزاز، اليس هو كذلك يا جيم؟»

«انا لا الاحظ ذلك» قال جيم وهو يجلس الى الخلف.

وصاح پينجي حين تحرك المحراث بقرقعة «جيم! ماذا سيزرع في هذا الحقل؟.»

فصاح جيم «برسيم، سأزرعه يوم الجمعة اذا أردت ان تراقب! وسنزرع القمح في حقل القعر الطويل.»

وتذكر الاطفال رؤيتهم الناس يمشون في حقل وهم يبذرون حباً على احدى الجهتين ثم على الجهة الاخرى.

وقالت پيني «بوسعي مساعدة جيم في بذر البرسيم، آتي بسلتي واعلقها امامي واضع فيها البذور. أحب ان اسير في الحقل فأنثر البذور من يد واحدة اولاً ثم من الاخرى.»

وقال تاميلان «حسناً، سيكون الامر على ما تصفين، والان معي يا اطفال، واذا اردتم ان تروني بعض حيواناتكم، فأروني اياها الان، فزيارتي لكم هذه المرّة قصيرة.»

«حسناً، هل ستأتي لزيارتنا يوم الجمعة مرة ثانية لتراقبنا

ونحن نبذر البذور؟» ثم توسلت اليه بيني وهي تدس يدها في يده السمراء الكبيرة. «تعال يا تاميلان، سيكون الامر ممتعاً.»

قال تاميلان ضاحكاً «سآتي اذا كنت تقدرين على الاجابة عن اللغز الذي سأطرحه عليك عن الخيول والأبقار، والان يا بيني هل ينهض حصان وبقرة من فوق العشب في وقت واحد بالضبط؟»

قالت بيني «أوه» اعرف الجواب عن هذا السؤال، لقد راقبت جميع بقراتنا وخيولنا، والامر ممتع يا تاميلان فالبقرات تنهض مستندة على سيقانها الخلفية اولاً ثم تركع على سيقانها الامامية ـ ولكن الخيول تفعل ذلك بطريقة اخرى. تمدّ سيقانها الامامية ثم ترفع انفسها مستندة على سيقانها الخلفية! وهكذا فأنا اعرف جواب اللغز كما ترى .. وعليك ان تاتي في يوم الجمعة!» وعندئذ قال تاميلان «فتاة طيبة، نعم سآتي يوم الجمعة ـ وسنرى، أسنبذر، أم لا!»

فقالت بيني مستغربة «حسناً، طبعاً سنبذر.»

ولكن بيني كانت مخطئة! فحين حلَّ يوم الجمعة ذهب الاطفال جميعاً الى «حقل القمة» بأمل اللقاء بجيم هناك ليعطيهم بذراً للزرع، غير ان جيم كان قد أخذ «دارلنك» الى الحقل ووراءه شيء غريب، شيء يشبه صندوقاً ضيقاً مرفوعاً

على عجلات. حملق فيه الاطفال، وسألت شيلا مستغربة «ما هذا يا جيم؟» فقال انه منثار موزع، راقبوني وانا اضع بذوري البرسيمية فيه!»

سأل بينجي بخيبة «أوه، هل ان هذا سيبذر البذور بدلاً منك؟ ظننت اننا سنقوم بمساعدتك جميعاً في نثر البذور. انظروا، ها هو ذا تاميلان والتكشيرة ملء وجهه. اعتقد يا تاميلان انك قد عرفت باننا لن نقوم بالمساعدة في البذار هذا اليوم!» فقال تاميلان «حسناً، كانت لدي فكرة وهي اننا ملزمون ان نراقب جيم أولاً، وعلى كل حال فانه شيء مهم، دعنا نر ما يحدث».

كان جيم قد أفرغ نصف كيس من بذر البرسيم الجيد من صندوق ضيق طويل. واغلق الغطاء ثم مشى في الحقل والاطفال يراقبونه بعناية .

«اوه، انظروا ـ ان البذور تتساقط من ثقوب في قعر الصندوق الضيق الطويل «صاحت شيلا. وهكذا كان الامر في الواقع ـ حيث تتساقط باستمرار وبالتساوي فوق سطح الحقل، وزرع الحقل بطريقة اسرع بكثير مما لو ان الاطفال قاموا بفعل ذلك بأيديهم.

سأل روري حين جاء جيم الى جانبهم «هل ستزرع القمح بالمنثار ايضاً؟»

قال جيم «كلا، سأزرع القمح بمثقب البذور بعد ظهر هذا اليوم. أتحبون ان تشاهدوا ذلك؟ انه اكثر مهارة من هذا لان المثقب يعمل اخاديد ويزرع البـذور بالتسـاوي ثم يغطيها بالتراب.»

بقي تاميلان ذلك اليوم ليتناول الغداء مع الاطفال. وحكى لهم عن طير «ابو الحناء» وكان قد بنى عشاً داخل حذائـه الضيق في ما وراء الكهف!

وقال «حين سيفقس البيض سيكون معي كثير منها.* بنات الحناء اليفات لـدى الصغر ولا أدري كيف سيسلكن مـع الارنب، الا انني لا أشك انهم سيكونون اصدقاء بسرعة.

ذهب الجميع بعد ظهر ذلك اليوم ليشاهدوا مثقب البذور وهو يزرع القمح. وكان هذا اكبر من المنثار. لان البذور تحمل في نوع من الاحواض ومن هناك كانت تمر في انفاق. وهذه الانابيب ـ الانفاق ـ كانت تدخـل في التربـة تحت السطح بقليل وتسقط البذور هناك.

«هذه فكرة جيدّة» قال روري وهم يراقبون مثقب البذور يعمل في حقل «القعر الطويل» «انه يزرع البذور تحت السطح وبنفس العمق ـ ثم باتقان يغطيه بحيث لا تلتقطه الطيور».

بلغ جيم منتصف الحقل في عمله بالمثقب ثم توقف. حيث قام بعض الشيء للمثقب ثم تابع عمله ثانية. «ماذا كان الامر

يا جيم؟» سألت بيني حين اقترب جيم منهم.

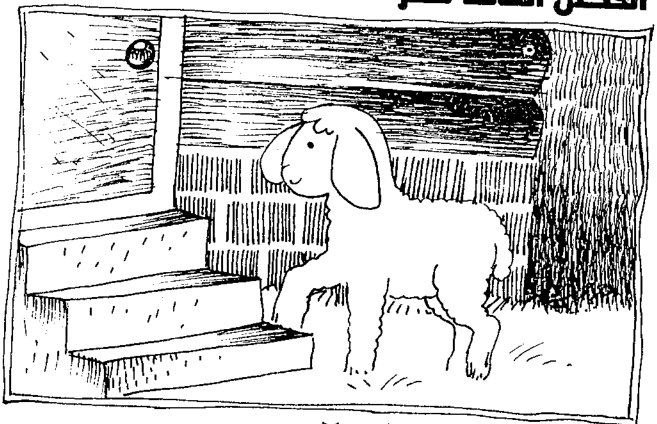
فقال «كان المثقب يبذر البذور بكثافة اكثر مما ينبغي. عدلته بحيث لا تتساقط البذور بسرعة، انه على ما يرام الان، كما أظن».

ركضت بيني بجلهبه في حين ذهب الاطفال مع تاميلان.

قالت لاهثة «لقد حُرثت الحقول وخدُدت وزرعت، فماذا بعد يا جيم؟ يبدو لي ان الحقول تتطلب من الرعاية قدر ما تتطلب الحيوانات والدجاج».

«انها كذلك» قال جيم وهو يأخذ المثقب نحو زاوية «ولكن الان سارتاح من العمل برهة يا آنسة بيني! وعلى البذور ان تدبر امرها قليلاً - وستعمل من أجلي الشمس والمطر! لذا يجب الان ان انتظر الى ان ينمو البرسيم والقمح لتكون جاهزة للقص! آه، ثم سننشغل فيها مرّة اخرى أيام الحصاد. انه شغل* كأيام الربيع».

الفصل الثالث عشر



شيء من الاثارة لشيلا

ـ مرت الاسابيع وكان الاطفال الاربعة قد داخلهم الحزن لانتهاء ايام العطلة . ذهبوا يتمشون عبر الحقول الى مقر القسيس ، حيث كانوا يتلقون الدروس اضافة الى ثلاثة اطفال آخرين .

ولكنهم كانوا في الحقيقة وعلى الدوام يمدون ابصارهم عبر النافذه يبحثون بشوق عما يمكن ان تكون دجاجاتهم تفعله وماذا كان يفعل سكامير ، وما اذا كان النطاط في وضع ازعاج ، وما اذا كانت الكلاب الثلاثة تساعد داني الراعي في رعي الاغنام .

وكانوا يسارعون جرياً الى البيت بعد انتهاء المدرسة !
وكانت عطلتهم في يومي السبت والاحد من الاسبوع ، واذا ماقاموا بعمل شاق يؤذن لهم بالتعطل بعد ظهر الاربعاء ايضاً ومع كل ذلك كان في وسعهم القيام بالمساعدة الكبيرة ، كما يتسنى لشيلا الاعتناء بدجاجاتها بشكل جيد .
وكان النطاط لايحب ان يرى بيني تذهب كل يوم من دونه . فكان يثغو على الدوام بما يثير الشفقه ، وقد توسلت الفتاة الصغيره بان يسمح لها بأخذه معها ولكن الام كانت ترفض ذلك باستمرار وباصرار .

ولكن النطاط صمم على ان يكون مثل الحمل في اغنية الحضانة ، وفي احد الايام استطاع ان ينسل من ثغرة في السياج وجرى نحو المدرسة خلف بيني . كان الاطفال على مسافة بعيدة عنه نسبياً ، غير ان النطاط كان يسمع اصواتهم امامه فيتبعهم متشوقاً . وحين وصلوا الى مقر القسيس استداروا فرأواه !

«اوه ليتني حمل صغير
ويتبعها الى المدرسة سيرا»

بذلك صرخ الاطفال مسرورين ، وجاء القسيس الى الباب وضحك .

وقال «حسناً ، انه كحمل مريم ، واخشى ان يكون هـذا ضد القانون ، خذي يابيني الحمل الى بستان التفاح واغلقي عليه المنافذ» .

وظهر ان بيني لم تحكم سد البوابة بشكل صحيح لان الحمل خرج وتوجه الى باب الصف ـ وعندئذ شاهد الاطفال الباب تفتح قليلاً ـ ثم راوا بـوز النطاط الاسـود لدى استـدارة الحافة !

فضحكوا عالياً وهنا خاف النطاط وتـراجع راكضـاً الى البستان . وفي تلك الاثناء كان روري قد ارسل ليطمئن على سلامته ، ولكن الحمل لم يشاهد بعدها في المدرسة في ذلك الصباح .

ثم سمح لسكامير ان ياتي ، لانه كان هادئاً ينتظر بينجي في الطريق كما كان سكامير قلقاً بسبب حلول الربيع وقد نجده في بعض الاحيان يذهب ويتغيب يوماً او اثنين في الغابـة ، وحينئذ كان بينجي يفتقده بخشية ، ولكنه كان على الدوام يعود . وفي احدى المرات عاد في منتصف الليـل ووثب على نافذة غرفة نوم بينجي تحت السقف القشي .

وصـدم بينجي حينما هبط سكـامير عليـه وجرى فـوق وجهه !

وكانت فاني عوناً كبيراً فيما يخص الدجاج حيث تقوم برعايتها حين كانت شيلا تتاخر في المدرسة ، وتحتفظ هي وشيلا بسجل البيض بتباه عظيم . وقد قالت فاني متباهية ، وهي تحصي عدد البيض في السجل «تصوري اكثر من اربعمائة بيضة ، يفترض في الدجاجة ياأنسه شيلا ان تضع حوالي مائتي وعشرين بيضة سنوياً ، اذا كانت بياضه جيدة .

ولكن يظهر ان دجاجاتنا ستضع كل واحدة منها بيضاً اكثر من هذا العدد بكثير .

وبعد ذلك مر اسبوع لم تبض فيه الدجاجات كثيراً ـ وفي احدى الليالي ذهبت شيلا لتغلق ابواب بيت الدجاج فوجدت ان واحدة منها مفقودة .

وصاحت فاني ، توجد فقط تسع عشرة دجاجة وديك واحد ، ماذا حدث للدجاجة الاخرى ؟

فقالت فاني «لا ادري ، قد تكون في مكان ما هنا او هناك . اوه ، ارجو الا تكون قد خرجت متجولة بعيداً وسرقت اذ يوجد غجر في ذلك الحقل رأيتهم هناك هذا الاسبوع وربما اخذوها .»

دعت الفتاتان بينجي وروري وبيني ، وبدأ الجميع يبحثون عن الدجاجة المفقودة . وكانت بيني هي التي عثرت عليها !

كانت الصغيرة قد فتشت جميع انحاء البستان واسيجة الحقول ، واخيراً دخلت الى حديقة المزرعة . الواقعة في اجمة من نبات الروندرون ، فاندفعت بيني وسط الاجمة .

وهناك وجدت الدجاجة البنية اللون الضائعة تجثم هادئة وحيدة . فنظرت الى بيني حين اقتربت منها وقررقت بصوت واطىء كما لو انها تقول «هللو ، لاتزعجيني فانا في احسن حال !»

صرخت بيني «اوه ، شيلا ، لقد وجدت الدجاجة ، هل سأجلبها ؟ هنا تحت اجمه الرودندرون» .

فصاحت شيلا ، التي كانت لاتود ان يمس احد دجاجاتها المتازه «كلا ، سآتي وآخذها فلا تلمسيها !» وركضت الى الحديقة وذهبت الى اجمه الرودندرون .

وازاحت النبات ونظرت الى الدجاجة .

وقالت «ايتها الشقيقة ذات الزغب ، لماذا لم تاتي الى الفراش حين ادخلت الجميع هذه الليلة ؟»

رفعت شيلي الدجاجة ـ واطلقت هي وبيني صرخات «انها تحضن بيضاً ، انظري انها جاثمة فوق بيض !»

حقاً ، كان هناك على شكل عنقود املس احدى عشرة بيضة بنية اللون . وقرقت الدجاجة وقامت شيلا حين كانت ترفعها من فوق ابيض .

فقالت شيلا «لاعجب ان كـان البيض ناقصـاً في الاسبوع الماضي . واعتقد انك قد لبثت في الخارج ثلاث او اربع ليال ، انها الدجاجة السيئـة ، لم احصكم كما يجب ، لانني كنت اشعر متأكدة بانك ستأتين حينما تدعين ، حسنـاً ، حسناً ماذا سنفعل لك ؟»

سرت فاني واهتاجت وقالت «سنضعها وبيضها في كن ، وسنضيف اليهـا بيضتين اخـريين ، وستكـون لنا قـريباً كتاكيتنا ، وذلك سيكون ممتعاً ياأنسة شيلا !»

وهكذا هيء للدجاجة القرقة مكان جيد ، ووضع بيضها تحتها ـ وهي ثلاث عشرة بيضة حيث ربضت فوقها سعيدة قرب بيت الدجاج ـ وكان كل واحد يذهب ليشاهدها كل يوم بينما كانت هي ترنو اليهم في كنها ، وتقرق قليلاً .

وكانت شيلا في كل يوم ترفعها عن البيض وتعطيها وجبة من الحب والماء النقي .

وقالت فاني «لاتدعيها تبتعد عن بيضها مـدة طويلـة . فالبيض اذا برد لايفقس ولن يكون لدينا كتاكيت عنـدئذ . وهكذا ضبطت شيلا الـوقت . فكانت تبعـدها عن بيضهـا عشرين دقيقة لا اكثر ، كما كانت تتحسس البيض قبل ان تعود الدجاجة ، فتجدها دافئة .

وقالت فاني «يجب عليهـا ان تقعد عـلى بيضها واحـداً

وعشرين يوماً ، ولكننا لانعرف متى بدأت حضانتها وقالت شيلا بعد ايام قليلة «هل تعلمين يافاني بان هنالك دجاجة اخرى لم تبض ولا بيضة واحدة . وان ذلك مزعج - وانا احاول اخراجها ولكنها تعود دائماً .

فقالت فاني «حسناً ، ذلك يعني انها تريد ان تكرك على عش بيض وتفقس فراخاً تماماً كما تفعل «فلفى» الان ، انسة شيلا ، لدى عمي حفنه من بيض البط ، ولا ادري اذا كان ابوك يحب ان يشتريها . ويدع الدجاجة تكرك عليها ! عندها سيكون عندنا بطيطات !»

وهنا سألتها بيني وكانت تصغي لها «ولكن ، هل يرقد الدجاج على بيض البط ، وهل لاتعرف الدجاجة بانه ليس بيض دجاج ؟»

وقالت شيلا «بالطبع لاتعرف ، وكيف يتسنى لها ؟ فاني ، سيكون ذلك ممتعاً ، وسأسأل ابي في الحال»

واعطاها ابوها النقود لتشتري بيض البط ، وذهبت هي وفاني للاتيان بها .

وقالت «ما اجمل لونها المخضر ، انها اكبر حجماً من بيض الدجاج - فاني ، الا يرقد البط على بيضه الخاص ؟ لماذا نعطيها الى دجاجة لترقد عليها ؟»

قالت فاني «حسناً ، ليست البطات بامهات جيدات انها تترك

بيضها مدة طويلة -واحياناً تتعب من الرقود فتتركها ، ولكن الدجاجة ام طيبة وهي تفقس بيضها بنفسها تقريباً .»

وضعت البيضات الثلاث عشرة للبط في كن آخر ووضعت الدجاجة الحاضنة فوقها ! وقامت عنها بعض الاوقات ثم استقرت فوقها سعيدة . وراقب الاطفال جميعهم باهتمام تصميمها اخيراً .

قال بينجي مسروراً «ياللسعادة ، سيكون عندنا ستة وعشرون فرخاً في الحال .»

قالت فاني «كلا ، فمن الصعب الحصول على ثلاث عشرة بيضة ! فقد تكون واحدة او اثنتان فاسدتين ، كما تعلمون ، وهذه لاتفقس وسنكون محظوظين اذا حصلنا على اثنتي عشر فرخاً بدلاً من الثلاثة عشر سألت بيني «هل سيتم تفقيسها في آن واحد ؟»

قالت فاني .. كلا ان تفقيس بيض البط يستغرق ثمانية وعشرين يوماً اي اسبوعاً واحداً اكثر من الدجاجة . انني احب البطيطات حين تتهادى في مشيها -وحين تنزل الى الماء لاول مرة وسترين كم ستكون الدجاجة قلقة ! فهي تظن انها افراخها ، لا بطيطات واحدة اخرى ، وسترين ! وهي تعلم ان الماء مضر بالكتاكيت ، ولهذا تكون في وضع الخائف حين تتهادى البطيطات متوجهة نحو البركة .

قالت بيني «اود لو ارى ذلك !»

وكانت الدجاجتان مطمئنتين سعيدتين وهما تحضنان بيضهما ، وفي كل يوم كانتا ترفعان وتغذيان وتسقيان . واخبرت بيني الاخرين بانها قد شاهدت الدجاجتين تقلبان بيضهما ليكون الدفء متوازناً على كلا الجهتين ، واعتقدت ان ذلك كان ذكاءاً منهما .

ثم جاء اليوم المثير حين فقس اول كتكوت ! فقد سمعت بيني الدجاجة تقرق فجرت نحو الكن حيث شاهدت بعض كسرات من قشور بيض ، ثم رأت كتكوتاً اصفر اللون يسترق النظر من تحت امه . ركضت الى البيت تطلق صرخات حادة وهي في حالة هياج .

«تعالوا سريعاً الكتاكيت قد فقست !»

ركض الاخرون ليروا ، ولكن لم يكن قد فقس غير كتكوت واحد ، وكان رأس الدجاجة مائلاً نحو جانب واحد لتستمع الى كتاكيت اخرى مستعدة لكسر قشورها ، وكان الاطفال مثارين للغاية .

فقس كتكوت اخر قبل ان يحين موعد ذهابهم الى المدرسة . كان اصفر اللون ايضاً . وتوسلوا ان يؤذن لهم بالبقاء ورؤية جميع البيضات تفقس ، الا ان امهم رفضت ذلك . وقالت «لا ، فالبيض لم يوضع كله في وقت واحد لان الدجاجة نفسها

هي التي باضته ، وقد تفقس بيضة غداً وربما في اليوم التالي جميع البيض .»

وهكذا كان على الاطفال ان يصبروا - وفي الاخير فقس البيض كله ما عدا اثنتين ظهرتا فارغتين وانتشر احد عشر كتكوتاً يضطرب حول الكن قالت فاني وهي تلتقط اخر بيضتين «هاتان البيضتان لن تفقسا ، انهما فاسدتان . حسناً - احد عشر ليس شيئاً سيئاً ، وهي كتاكيت تبدو سليمة الصحة !

لم تعط الكتاكيت شيئاً تأكله خلال الاربع والعشرين ساعة الاولى - وبعد ذلك ارت فاني شيلا انه يجب عليها ان تعطيها - فتاتاً من الخبز ومقداراً ضئيلاً من دقيق الشوفان وطبقاً صغيراً للماء . وفي الحال التقت الكتاكيت الطعام ، وزقزقت بأصوات ضئيله من اجل طعام اكثر .

احبها الجميع ، كان بعضها اصفر كعشب الحوذان ، وبعضها اصفر واسود وواحد اسود كلية وكانت الام تأخذهم وتدور حول الفناء تريهم كيف ينبشون طلباً للغذاء .

وحين تجد مايؤكل كانت تدعوهم اليها بصوت عال فيأتون مسرعين ، وتقتسم ذلك معهم ، مما جعل الاطفال يعتبرون ذلك امراً جميلاً منها - وقالت بيني «انها ام حقيقة ، كامنا تماماً بالبضبط»

وحـين دخلت احدى قطط الاصطبـل في الفنـاء ، دعت الدجاجة افراخهـا بصوت مـختلف النبـرة وسمع الفـراخ الانذار في قرقها جروا اليها في الحال . وحين تكون في الكن ، يكونون هم تحت جناحيها وريش صدرها ، ولا يـرى احد منهم . وحين يكون الخطر قد مر والقطة قد ولت ، فلن يبرز من تحت ريش الام غير رأس واحد صغـير اصفر ثم اخـر وهكذا وهي تحدق بعيون مدورة صغيرة براقة .

وكان هذا يجعل الاطفال يضحكون .

وفقس بيض البط في وقت متأخر .

وكان الاطفال فرحين لان ذلك حصل في يوم السبت وان في وسعهم مراقبة كل شيء من البدء الى الانتهاء .

تخلصت البطيطـات من قشور البيض ووقفت عـلى اقـدام مضطـربـة ، ثم نفشت انفسهـا ونظـر الاطفـال اليهـا مندهشين .

وقـالت شيلا «كيف امكن لتلـك البطيطات ان يكن داخـل البيض ، ان كل واحدة تبدو الان اكبر بمـرتين عمـا كانت عليه !» احب الاطفال البطيطات اكثر حتى من الكتاكيت .

فقد كانت ممتعة وهي تتهادى حـول الفناء ولكنهـا لم تكن مطيعة مثل افراخ الدجاج مما سبب لامهن الدجاجة كثيراً من المتاعب .

وفي يوم اردن جميعهن الذهاب الى بركة البط . كن يتجولن قريباً من حافتها ، وفجأة شعرت بطيطة صغيرة ان عليها ان تشق طريقها الى الماء البديع ! وهكذا تهادت بينما كانت الام تقرق لها لئلا تفعل .

ولكن البطيطات الاخريات ركضت ايضاً لتلحق بالاولى ـ ثم يغطسن في الماء بزقزقة جذلى ، لقد اندفعت وسقطت في الماء وسبحت في البركة بهياج . بينما اوشكت الام ان تجن قلقاً تقريباً حتى اندفعت الى حافة البركة تقرق وتدعو ، بينما ظلت الدجاجة الاخرى مع افراخها واقفة تنظر بهلع وهكذا قضت البطيطات وقتاً ممتعاً في البركة ولم تلتفت لصوت الدجاجة امها حين خرجت من الماء .

كن يزقزقن لبعضهن البعض وكان ذلك رائعاً ، وستعاود عليه الكرة !

قالت شيلا وهي تشعر بالاسف نحو الدجاجة البنية الزغب «لاتقلقي كثيراً ايتها الدجاجة الام ، فكتاكيتك ليست بكتاكيت بل هن بطيطات ! الا ترين الفرق ؟ ولكن الدجاجة لم تر ، فكانت تقلق كلما ذهبت البطيطات للغوص في الماء ـ ثم تعبت منها وتركتها لانفسها ، والتحقت بالدجاجة في الفناء تنبش راضية ، وتبيض ثانية ، وتنسى كل شيء حول اسرة الكتاكيت الوقحة التي تحولت الى بطيطات على غير توقع .

اما الدجاجة الام الاخرى فقد علمت افراخها كل ما يجب

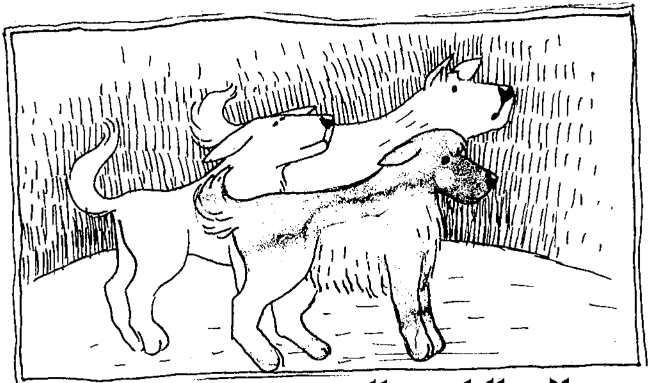
عليهم ان يعرفوا ، ثم تركتهم لانفسهم ايضاً ، كانوا قانعين تماماً بالجري هنا وهناك ، وبنبش الارض ، ونقرسوق الهانة مع الدجاج الاكبر . غير ان الاطفال لم يحبوا الكتاكيت حين كبرت .

وقال بينجي «انها طويلة الساقين ونحيفة . ليست جميلة وانا احب الدجاج إما دجاجاً او كتاكيت ، ولا احبها بين بين .

لكن شيلا وفاني كانتا فخورتين بكتاكيتهما وادخلتها في سجل البيض «احد عشر كتكوتاً واثنتا عشر بطيطة .»

وكان ذلك حقاً زهواً لهما ان يكون لديهما ثلاثة وعشرون طيراً وهذا اكثر مما بدأتا فيه !

الفصل الرابع عشر



ـ كلاب الراعي المدهشة ـ

كانت بيني تذهب في اغلب الاحيان الى داني الراعي ومعها الحمل النطاط ، الذي كان يبتهج للغاية بصحبة الاغنام الاخرى . حيث يرفع بوزه الاسود نحوهم ، ويظن نفسه كبيراً بما يكفي للقفز والرقص هنا وهناك حول الحملان !

«انه الان يقضم العشب يادافي» .

قالت بيني «ولا يرغب كثيراً في الحليب ، وهو يلتهم كثيراً مما لاينبغي له»

«هو كسيدته» قال دافي ضاحكاً لانه علم بان بيني تحب نتش عنب الثعلب غير الناضج ، وتحب ان تمتص انابيب رؤوس البرسيم ، «والان ياتوبيني لقد جئت في الوقت الملائم بعد

الظهر هذا ! فانا سأخذ الاغنام من هذا التل الاخر - وبوسعك ان تشاهدي راسكال ونانسي وتنكر وهم يعملون اذا اردت !»

فصاحت بيني بسرور «اوه ، احب ذلك ، هل يمكن ان اذهب وادعو الاخرين ؟ انهم يودون ان يشاهدوا هذا ايضاً .»

قال دافي «حسناً عجلي اذن ، سامهلك عشر دقائق - ثم علي ان اطلق الكلاب للعمل .»

كان الوقت يوم الاربعاء بعد الظهر ، وكان لدى الاطفال عطلة لنصف يوم . كانت شيلا عازمة على ان تقوم بتظيف بيت الدجاج . وكان روري ينوي ان يعمل في الحقول .

وبينجي ان يساعد امه في حديقتها التي نجم فيها الخس والبصل والجزر والفول .

ولكن حين سمعوا بان الكلاب ستطلق للعمل في مساعدة الراعي ، غير الجميع اراءهم في الحال !

«يجب ان نذهب وترى ذلك» قال روري واندفع ليقول لجيم انه سيتم عمله في الحقول بعد تناول الشاي .

وفي عشر دقائق كان الاطفال الاربعة جميعاً في اعلى التل مع دافي .

ابتسم لهم وعيناه الرماديتان تبرقان «ما ادهش قدرة الاطفال على السرعة حين يريدون عمل شيء ما ؟ وما اعجب

بطئهم حين لايريدون عمل شيء ما لايحبونه !
انظروا الان . اريد لغنمي ان تساق الى المنحدر المستور الذي ترونه فوق التل الثاني . وعليها ان تعبر ثلاثة جداول من جداولكم ـ الا ان كلابي ستأخذ الغنم كلها بسلام ودون ما مساعدة مني !»

سألت بيني بعجب «ولكن يادافي ـ الست ذاهباً معها ؟» قال دافي «كلا ياتوبيني الصغيرة ، لست فاعلاً ، انا فقط اريدكم ان تشاهدوا كم هي ذكية كلابي ! !
آه ، يلزم ان تروا راسكال في الممارسة .
اقول بحق ، انه اعجوبة ! يقدر ان يلم شمل اغنام غريبة ويأخذها الى اي مكان اسرع من اي كلب آخر .
اقول لكم انه يعادل وزنه ذهباً ، هذا الكلب !»

وقف الاطفال الاربعة على سفح التل المشمس متشوقين الى ماسيحدث . صفر دافي لكلابه . فجاءت مسرعة ، وكان اثنان منها سوداوين اصليين والثالث مهجناً .
«لموها ايها الابناء»
ثم قال دافي مخاطباً الكلاب واشار بيده الى الاغنام التي كانت ترعى بسلام فوق سفح التل «خذوها الى ابعد من هناك» وحرك ذراعيه نحوالتل الثاني .
وهنا نظرت الكلاب اليه وهي تهز ذيولها ، ثم اندفعت جرياً

وبسرعـة ركضت نـحو الاغنـام وجعلتها تتـرك مرعـاهـا ، فتجمعت على بعضـها البعض خوفاً . ولم يستجب واحد او اثنان منها ، الا ان راسكال اقترب منهـا وحاذاهـا بحيث ماكان عليها الا ان تلتحق بالاخرين .

ثم قال دافي «ان الاغنام دائماً تتجمع قطيعاً حين يؤذيها شيء ما . والان لاحظوا تلك الحملان الحمقاء الصغيرة»

كان البعض منها يهرب نحو السفح بدلاً من الالتحاق بالغنم فتتبعها تنكر ، وبمهارة اعادها الى القطيع . وحالما بدا ان الحملان تهرب ثانية ، كان تنكر هناك ، قريباً منها ، بحيث وجدت انفسها ملزمة ان تلتحق بـالاخرين ـ وقـالت بيني «ياللروعة ، وددت لو اني كلب اغنـام ، اذاً لجعلت الاغنام تفعل ماااريد لها ان تفعل .»

وصارت الاغنام في الحال مجموعة واحدة والكلاب الثلاثة تجري حولها . وعندها ، لوح دافي بـذراعيه ، وتلـك كانت اشارة لها للبدء بقيادة الاغنام نحو التل الثاني .

وبلحظة كانت الاغنام تهبط السفح وكان راسكال يجري حول القطيع ليجعله متماسكاً مع بعضه ولم ينبح ولا مرة واحدة . كما ظل تنكر في المقدمة جاعلاً الشاة القائدة تسير في الطريق الصحيح .

وكان من المدهش رؤيته وهو يجعلها تحافظ على الدرب الذي

اراده لها .

وصلت الاغنام الى جدول اعرض مما تستطيع القفز عبره واعمق من ان يخاض ـ وكانت فوق الجدول قنطرة خشبية ضيقة . لم ترد الشاة القائدة ان تجتازها فجرت على طول الضفة تثغو .

استغرق الوقت نصف دقيقة امام راسكال ليعيدها الى القنطرة ، ولكنها ابت ان تعبر .

وعندئذ صاح بينجي مهتاجاً «لا يستطيع ان يجعلها تفعل ذلك . فالاغنام غبية جداً»

وقال دافي «كلما زاد غباؤها سهلت قيادتها» انها المخلومات التي تحاول ان تحسب انها تحل الاصعب ، المخلوقات التي لاتفكر ، بل تتبع مايفعل الاخرون بطريقة عمياء ، انها سهلة القيادة حقاً . لكن راقبوا راسكال فقلة من اغنام حمقاء لايمكن ان تقهره . انظروا انه هناك قد اخذ واحدة الى القنطرة»

لم يدر احد كيف اخذ راسكال واحدة من الاغنام الى القنطرة فقد ظهر ان الكلب كان يروح ويغدو داخلاً وخارجاً ومستديراً حول الشاة الى ان وجدت نفسها فوق القنطرة بحيث لايمكنها ان ترجع لان راسكال كان خلفها تماماً ـ وهكذا ماكان عليها الا ان تتقدم .

واذا عبرت احدى الاغنام مرة ، شعرت الاخريات بان عليها ان تتبع ! وهنا وثب راسكال عبر القنطرة الى الجهة الثانية ووقف حذاءها . بينما وقف تنكر في الجانب الاخر .

وكـانت ناشي في مؤخـرة الاغنام لتبقيهـا متجمعـة ، ممـا يضطرها الى التقدم نحو القنطرة .

كانت المراقبة تثير الدهشة ، فقد كانت الكلاب تقوم بالعمل معاً وبصورة رائعة ، لم تدع اية شاه تهـرب ، بل جعلتهـا تجتاز القنطرة باسرع مايمكن .

كانت الاغنام ثـابتة الخطى فسـارت بسهولـة فوق اللـوح الضيق ، وكانت بيني خائفة ان تسقط احداها ، ولكن من المؤكد انه لم تحن واحدة منهن قدمها .

قال دافي «الاغنام في الحقيقة حيوانات جبلية . فقد كنت في مقاطعة ويلز في سفوح الجبال وكانت بعض المرتفعات هناك صخرية ومنحدرة بحيث لم اقدر على الاقتراب من الاغنام . ولكنها كانت تثب من صخرة الى اخرى ولم تنـزلق ولا مرة واحدة . ولذا فان قنطرة ضيقة كهذه لاتعني شيئاً لديها» .

اجتازت جميع الاغنام القنطرة ووثب راسكال فصار في مقدمة القطيع واداره الى جهة اليسار بدلاً من اليمين . ولمت نانسي شمل الشاردات بينما تنكر يجـري حول القطيـع . ووصل الجميع الى الجدول الثاني . وكان عليه جسر حجري صغير .

عبرته الاغنام بلا صعوبة وقال دافي «انها تعـرف الان ان الكلاب تقودها الى مكان ما . انها لاتحب مغادرة التل الذي كانت ترعى فيه منذ عدة اسابيع ولكنها ستقـاد الى مرعى آخر» .

وبعد ذلك بالضبط ، توقفت الكلاب ونظرت وراءها الى سفح التل الذي تركته .. لقد بلغت طريقاً متشعبة في التل ولاتدري بالتأكيد اي سبيل تسلك شرقاً ام غرباً .

ادرك دافي قصدها ولوح بذراعيه وصفر صفيراً حاداً . وقال للاطفال «ان ذلك يعني اني اريد الاغنام ان تسلك الجهـة الغربية من التل . لاحظوا كيف تفهمني الكلاب !»

ما ان رأت الكلاب تلويح دافي وسمعت صفيره حتى وجهت الاغنام نحو الغرب . وعجب الاطفال ودهشوا .

قال روري «ماذا ؟ ان المسألة تبدو وكأنهم رجـال . ولو ان الرجال لايقدرون على الجري حول الاغنام بسرعة الكلاب . الا انها تفهم كما تفهم . اوه دافي لايمكنـك العمل من دون كلابك .

هل يمكن ؟»

قال دافي .. كلا ، الراعي يمكنه ذلك . اننا نعتمد على كلابنا اكثر من اي شيء اخر ! ولم لا ؟ ففي احدى المرات حين كنت مريضاً ليومين ، كانت كلابي هذه تعني بالاغنام كما لو اني

كنت فوق التل معها بالضبط . انها حادة كالابر ، وتفكر مع نفسها كما تفكرون»

سأل روري «اوه ، كلاب الاغنام ذكية دائماً ، ولكن لابد من تدريبها . ادربها قليلاً ولكن الكلاب تدرب صغارها اكثر مما اقدر عليه أنا حيث تتركها تجري هنا وهناك معها وترى ماذا هي تفعل . وبعض كلاب الرعاة اذكى من غيرها ، تماماً كما ان بعض الاطفال شديدو الذكاء ، وبعضهم ليسوا كذلك . واستطيع ان اعرف في اشهر قليلة ان كان احد الجراء سيكون كلب رعي جيد ام لا» وراحت الاغنام تجتاز جدولاً اخر ثم سمح لها ان تنتشر على الجانب الغربي من التل وحينذاك استلقت الكلاب على الارض لاهثة تعبة . فقد ركضت اميالاً كثيرة ، لانه كان عليها ان تجري حول القطيع مرات ومرات وعندئذ احنت الاغنام رؤوسها وبدأت تسحب العشب القصير بمتعة وكان من الخير لها ان تكون هنا على سفح التل تحت اشعة الشمس وبعشب جديد للاكل !

قال دافي «ستبقى الكلاب معها الى ان آتي . حسناً ـ ماذا تقولون عنها ؟ انها ذكية اليس كذلك ؟»

كان الراعي متباهياً بكلابه وكان الاطفال كذلك ايضاً . وقال روري «اظن انها مدهشة . اود لو ان لي قطيعاً من الاغنام وكلاباً مثل هذه»

وقال دافي «هل تعلم انه في احد الاشتية فقدت نعجتان من القطيع على اثر عاصفة . وحسبت اني لن اجدهما ثانية ـ غير ان راسكال هناك خرج في الثلج واعاد النعجتين بعد ست ساعات .»

فقال بينجي مندهشاً «افعلها حقاً ؟ ولكن كيف وجدها وسط ذلك الثلج ؟ اكان عميقاً ؟»

قال الراعي «نعم ، احصيت الاغنام وقلت لراسكال ان اثنتين قد فقدنا . فذهب يبحث ولا بد انه بحث في كل انحاء التل عالياً وسافلاً قبل ان يجدهما ، وكان حين عاد تعباً الى درجة انه لم يتناول عشاءه ! بل انطرح ورأسه على قدمي واستغرق في نوم سريع عميق !
انه كلب جيد .»

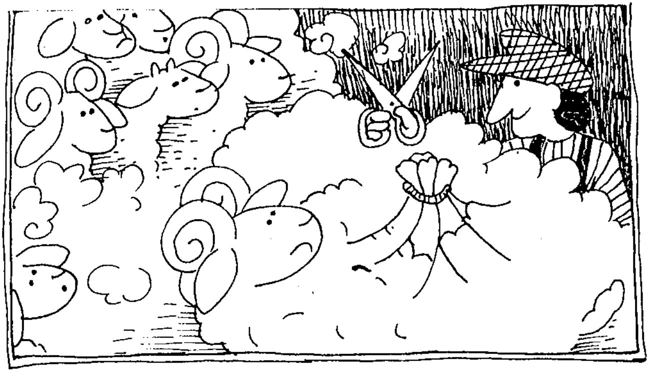
وقالت شيلا «حسناً ، شكراً لك يادافي ـ لانك جعلتنا نراقب ما تفعل كلابك . ونرجو ان تخبرنا حين تقوم الكلاب بفعل اي شيء اخر مثير .»

قال دافي «يجب ان تأتوا لمراقبة قص الاغنام بعد اسبوعين . وحين نغطس الاغنام ستحبون ان تشاهدوا ذلك ايضاً وسأخبركم متى يحين ذلك .»

جرى الاطفال هابطين من التل وصاحت بيني «ليس هناك من اشياء الا وهي مثيرة في المزرعة !» قالت ذلك وهي تتقافز

اتتقافز النطاط حملها . «اوه ، كم انا مسرورة ، اننا تـركنا لندن واتينا الى مزرعة الصفصاف ، مزرعة الصفصاف !»

الفصل الخامس عشر



«جز الصوف»

في احد الايام ظهر ثلاثة رجال غرباء في المزرعة .

نظر الاطفال اليهم بتعجب ، لانهم كانوا قد صادفوهم وهم في طريقهم الى المدرسة .

سألهم احد الرجال «هل ان اباكم هنا ؟ حسناً ، قولوا له بأننا الجزازون ، هل ستفعلون ؟»

قال روري «اظن ان الاغنام ستجز ، لو اننا نستطيع اليوم فقط ان نبقى هنا ونرى العمل ؟»

قال الجزار مبتسماً «سترى منه الكثير ، ياسيدي الصغير ،

سنظل نعمل طوال النهار ، والى ان يسقط الليل ، اننا لانتوقف ـ اذا ما شرعنا بالعمل !»

اسرع روري ليخبر اباه . وراقب الاطفال الاربعة الرجال يقادون الى احدى السقائف الكبيرة .

فقال بينجي «هناك اذن ستجز الاغنام ، فلقد شاهدت السقيفة تنظف وتفرغ بالامس ، وعجبت لماذا ! سأهرع الى البيت في عودتي من المدرسة لاراقب .»

وسألت بيني ، وهي تشعر بالاسى مّن اجل الاغنام «هل يقص الجزازون كل صوف الاغنام المسكينة ! انه عمل سيء ، ستبرد»

وقال روري «حسناً ، انها تحس بحرارة شديدة الان ، في هذا الطقس المشمس . هل تحبين ان ترتدي معطفاً صوفياً ثقيلاً حين تذهبين الى المدرسة هذا الصباح يابيني ؟ اظن انك ستتوسلين الينا وتتوسلين لنخلعه عنك !»

فنظرت بيني الى ردائها القطني القصير وقالت انا احس بالحر حتى في هذا ، وانا متأكدة من اني سأذوب لو ارتديت معطفاً صوفياً كالخراف . اتوقع انها ستفرح بعد هذا الشيء»

قالت شيلا «بالطبع ستكون ، ولكنها ستبدو مضحكة بعد

ذلك . اتوقع انها ستضحك من نفسها على هذا النوع من التعري .»

وحين عاد الاطفال من المدرسة وجدوا الجو مليئاً بضوضاء الثغاء ! والامهات قد فصلت عن حملانها ، والكل يثغو نحو الاخر . اية ضوضاء كانت .

قال روري «انظروا لقد ساقوا الاغنام الى حاجز مؤقت في الحقل قرب موقع الجز ، ومعها حملان العام الماضي – ومن دون الرضع لهذا العام . وهكذا لن يفقد النطاط معطفه الصوفي الجميل يابيني»

وقالت بيني «انا سعيدة فانا لا احبه مجزوراً ومحلوقاً كلية . انه جميل هكذا»

وكانت الكلاب مشغولة ذلك الصباح بجلب الاغنام الى الجزازين . كان عليها ان تجمعها على التلال ثم تجلبها الى المزرعة ، ولقد قامت بعمل شاق وجيد ، وكان دافي عنها راضياً .»

جلس الجزازون في السقيفة المكشوفة ، وكانت بعض الاغنام قد جزت واطلق سراحها وتوقفت في قطيع صغير وتنكر يحرسها . وكان عليه ان يأخذها الى التلال لترعى ، حالما تكون اخريات جاهزة للجز .

وعندها ركض الاطفال ليروا ماحدث بالضبط .

كانت المزرعة على قدم وساق ذلك اليوم . الرجال يسرعون بالاغنام هنا وهناك ، ووالد الاطفال يصدر الاوامر بصوت عالٍ وكان الامر ممتعاً .

راقب روري اول جزاز وقد اخذت اليه شاة كبيرة . بعد ان ربطت ارجلها باتقان الى بعضها لئلا تتحرك ، فقد تسبب لنفسها ضرراً اذا هي قاومت وناشها المقص .

وشرع الجزاز يعمل بمقصه . ورأى الاطفال ان ذلك رائع لان قص صوف الشاة جاء وكانه معطف كبير !

واستمر المقص ، قصة وقصة وقصة ، وجز الصوف بسرعة ونظافة . وما اغرب مابدت الشاة حين سقط كل صوفها من على جلدها !

نظر الجزاز وابتسم في وجوه الاطفال . وسأل «هل انتم ربائني التالون ، لقد جززت اليوم تسع عشرة شاة ، فهل يكون احد منكم العشرين ؟»

قالت بيني بسخط ، لسنا اغناماً !»

«اذن ، لست انت اياها» قال الجزاز ، فتل الشاة التي كان يعالجها ليقص الصوف من ظهرها ، وانقلبت تلك الشاة ببراعة .

قال روري «الصوف قذر ، ورائحته كريهة !»

قال الجزاز «حسناً ، هذه الاغنام لم يعمل على تسبيحها في

الماء ، فلو انها ارسلت للسباحة قبل اسبوع او اسبوعين من ميعاد الجز لكان صوفها انظف . ان الصوف المغسول يساوي نقوداً اكثر . ثم انه من الناحية الاخرى لايزن اكثر وهو غير مغسول» .

سأل بينجي «ماهو اكبر عدد من الاغنام جززت هذا اليوم ؟

قال وهو يتوقف ليجرب يده في المقص ايضاً .

«ثمان وستون ، لكنها اغنام صغيرة ، فكلما كانت الاغنام اكبر ، طال وقت جزها ، واحب ان اجز الاغنام السمينة ـ فذلك اسهل .»

سأل روري متعجباً «لماذا ، ظننت ان ذلك سيصعب الالتفاف عليها !»

قال الجزاز «حسناً ، انت ترى ان صوف النعجة السمينة يرتفع بشكل جيد فوق جلدها ويجعل جزها سهلاً ، ثم ان جلدها ادسم من جلد الهزيلة ، والدسم يجعل الصوف يرتفع بصورة جيدة . انتظر الى ان يأتي الراعي بواحدة سمينة وسترى ما اعني .»

كان الجزاز القريب منهم يجز حملان العام الماضي . وكانت تكره الجز وتثغو ثغاء يثير الشفقة .

سألت بيني بقلق «هل اصيبت ؟»

قال الجزاز «ابداً . فالاغنام تكره شيئين ، الاول ان تجز

والاخر ان تغطس .»

قال روري «تغطس ! ماذا تعني بتغطس ؟»

قال الرجال «سيريك ذلك دافي هنا في احد الايام .»

وانتهى من الحمل الذي بين يديه واطلقه بعد ان صفعه صفعه خفيفة «ان جز هذه الحملان اسرع في العمل . فمعاطفها ليست سميكة كالاغنام الكبيرة .»

وسأل بينجي «اهذا الجز سنوي ؟»

«نعم ، هذا صحيح» قال الرجل ، واخذ حملاً ليقصه . ماكان ابرعه وهو يجز بسرعة !

وحين كان ينتهي من احد الاغنام ويوقفه عارياً خائفاً ، كان جيم يلطخه بالقطران ويوجهه نحو تنكر فسأل بينجي «ولماذا تفعل ذلك ؟»

قال جيم «اضع عليها علامة ابيك . فاذا حدث ان ضل احدها . فالعلامة معروفة ليعاد»

نظر الاطفال الى العلامة التي كانت عبارة عن حرف «ص» كبيرة . فقالت بيني «ص» اي الصفصاف ، اوه ، والان سنعرف اغنامنا الخاصة» .

لف جيم كل جزة باحكام . وربطها الى بعضها البعض والقاها في ركن من اركان لسقيفة .

وقـال «ستوضـع كلها في اكيـاس وتباع ويبـدو ان ابـاكم سيكسب هذا العام من صوفه . انـه صوف جيـد ، ويزن ثقيلاً .»

قال روري «انا مسرور ، اعلم انه يريد شراء ماكنـة زراعية جديدة ، وقد قال انه اذا ماكانت الاغنام جيدة فسيكون قادراً على فعل ذلك . لدينا كثير من الحملان ، ولم يمت منها احد ، والنطاط هو الضعيف بينها ، وحالما اخذته بيني لتدلله بدأ يكبر ويسمن وقال جيم بابتسامة عريضة «الاحظ انه لم يؤت به الى سقيفة الجز ، واحسب انه خـائف انْ يفقد معطفـه الجميل الصغير اذا مافعل ذلك .»

وهكذا ظل النطاط بعيداً يجري ولم يكن يحب ضوضاء الثغاء والصراخ . وحين خرجت الشياه المجزوزة من السقيفه نظر اليها متعجباً . ماهذه المخلوقات الغريبة المنظر ؟
انه لن يحبها قط !

كانت الشياه تبدو في الواقع غريبة حين اسرعت جرياً نحو الحقول ، مقصوصة ومجزوزة حيث كانت من دون معاطفها الصوفية السميكة تبدو صغيرة .

واحست بالبرد ايضاً ، الا ان الشهر كان دافئاً ، فلا ضرر عليها .

ماكان الجز ليحصل حين تكون الرياح باردة ـ ويعمل فقط حين يبدو ان الجو سيتحسن ويكون مشمساً ودافئاً .

«يوم آخر للعمل قد انتهينا»

قال الجزاز الاول وهو منشغل بشاة سمينة ، وارى الاطفال كم هو سهل له ان يجز الصوف «ليس لدى ابيكم قطيع كبير . لو كان ذلك لديه لما وجدنا نقوم له بجز اغنامه»

سأل روري «ولماذا لاتفعلون ؟»

قال الرجل «حسناً عليه ان يشتري ماكنة قص . وسترونها كيف تعمل ـ انها مدهشة تقص الشاة بسرعة ، وهي احسن من القص اليدوي ايضاً من وجوه عديدة . فالماكنة يمكنها ان تقص شاة باتقان تام اكثر مما يمكن لايدينا ، وبهذا يكون وزن الصوف اثقل ، مما يكسب مالاً اكثر»

قال روري «قد تكون لدينا ماكنة قص في السنة القادمة لانني احب ان اعمل بواحدة .»

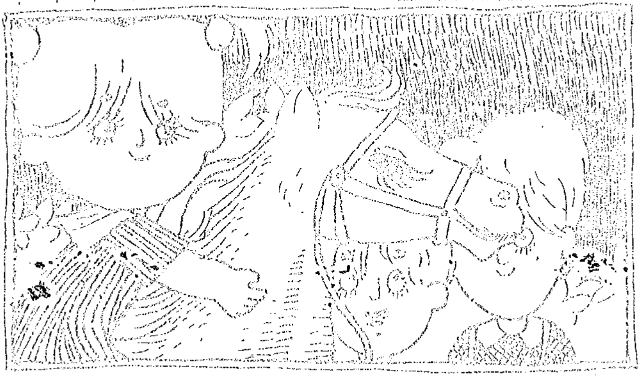
وسألت شيلا وهي تنظر الى الجزز الملقاة في مؤخرة السقيفة «كم تزن الجزة ؟» فقال الجزاز «اظن انها تزن ثمانية ارطال ، ولاتزن الصغيرات هذا الوزن طبعاً . وراعيكم يعرف كيف يعني بأغنامكم . انها جيدة وسليمة»

ولم ينته الجزازون من عملهم الا عند حلول المساء ، وذهبوا بعد ذلك وهم تعبون عطاشى الى المطبخ ليأكلوا ويشربوا .

وجعلتهم هارييت يغتسلون تحت المضخة قبل ان يدخلوا . حيث قالت «رائحتكم رائحة الغنم ، ويعلوكم الزغب .»

«كان شيئاً ممتعاً» قال روري -ودخل هو والاخرون الى المطبخ «في السنة القادمة ستكون لدينا ماكنة قص ، وسأعمل بها . واقسم اني سألتذ بها»

الفصل السادس عشر



نحو العطاء

كان لكل واحد من الاطفال شيء اثير لديه ، حيوانات او طيور في المزرعة . فشيلا بالطبع ، كانت تفكر بدنيا الدجاجات والبطيطات والكتاكيت .

وكانت بيني تحب حملها والحملان الصغيرات الاخر .

وكان روري وبيتجي يحبان الخيول اكثر من الجميع .

كانت خيول المزرعة ضخمة ، من خيول شاير ، كبيرة وثقيلة ، وبطيئة الحركة وقوية قوة هائلة .

ولما لم يكن لدى ابيهم مايكفي من المكائن للعمل في مزرعته ،

فقد استعمل خيوله استعمالاً وافياً . وكان روري وبينجي يحبانها حقاً .

كانا يحبان «دارلنك» اكثر من الجميع . وهو حصان بني اللون اسوده ، ذو عينين رماديتين ورموش طويلة هاطلة . وكان عاملاً رائعاً ، لم يكن يتعب ، بل يتهادى في اعلى وفي اسفل الحقول ـ اميالاً من الفجر حتى الغروب . وكان جميع الرجال في المزرعة مولعين به ، ويأتون له بقطعة من السكر من شايهم .

«انه حصان جيد» هكذا كان بيل يقول حين يقف الى السياج وينظر اليه .

«آه ، انه جواد فاخر» يقول جيم متفقاً معه ، كما كان الأطفال المستمعون لهما يفكرون بذلك ايضاً ، فلطالما حملهم ظهر دارلنك العريض عائداً بهم الى البيت وكانوا يحبون وقع حوافره الكبيرة ـ كلب ـ كلوب ، كلب ، كلوب .

قال بينجي «من المحبب الاستيقاظ صباحاً وسماع وقع حوافر دارلنك على امتداد الساحة»

وقالت شيلا «وانا احب ان اضطجع في السرير واسمع الدجاجات يقرقن والبط يزعق»

وقالت بيني «وانا افكر في النطاط يتقافز ويثب وينتظرني هناك .»

وقــال روري «وانا احب ان اسمــع الابقار تثغـو والخيــول تصهل ـ اقول يابينجي ـ ان دارلنك بحاجة الى تنعيل هذا اليوم ، الاترى ان نسأل ابانا ماذا كان بوسعنــا اخذه الى الحداد في المدينــة ؟ فأنــا اعلم ان الرجــال سينشغلون في الحقول»

توسلت بيني اليها «اوه ، دعوني اذهب معكم ايضاً .
اريد ان ارى حصاناً ينعل ،لم ارهذا قط .
هـل لدى الحـداد كثير من الاحـذية يختـار منهـا الحجم المناسب ؟

فقال روري « استمع الى بيني ، اليست طفلة صغيرة .
كلا ياحمقاء ! للخيول احذية مسمرة على حوافرها» «اوه ، ياللمساكين الا تؤلمهم بشدة ؟» قالت بيني وهي توشك على البكاء من فكرة المسامير تدق في اقدام الحصان «لا اظنني اريد ان ارى حصاناً ينعل مطلقاً .»

قــال بينجي «حسناً ، تحسنـين صنعــاً اذا فعلت ، لانـك ستشاهدين مايحدث فعلاً .»

وقال الاب بان في وسع روري ان يأخذ دارلنك لينعله .
وكان اليوم يوم سبت والاطفال فيـه معطلون عن المـدرسة وبالطبع ارادوا جميعاً ان يذهبوا .
«حسناً ، يمكنكم ان تأتوا كلكم ـ ولكني انا الذي ساقـود

الحصان ، قال روري بثبات . ولم يسبق له ان اخذ حصاناً الى حدادة القرية ، وبدا له بالاحرى انه عمل كبير يقوم به . ولم يرد ان يشاركه احد فيه .

وسألت بيني «حسناً ، هل اقدر ان امتطي ظهر دارلنك ؟

فقال روري «تقدرين»

خرجوا لاشعار جيم بانهم سيأخذون دارلنك لينعل . وشاهدوا تاميلان حين كانوا في طريقهم الى جيم حيث كان قد جلب معه بذور ازهار خاصة لامهم .

واعطاها لشيلا ، وقال انه سيأتي معهم الى محل الحدادة . وثب سكامير الى كتفه حالما رآه .

سألت بيني «هل يأتي النطاط معنا ؟ سأكون على ظهر دارلنك ـ ولكن النطاط يمكن ان يصاحبك ياتاميلان .»

كان الحمل راغباً تماماً بأن يتبع تاميلان ، فقد كان يحبه كما كانت تفعل جميع الحيوانات ولذا كان يتقافز حوله مسروراً حين كان يأتي .

قاد جيم دارلنك نحو روري فأخذ الصبي الحصان متباهياً ، وقاده خارجاً به الى الزقاق .

وقال «ستكون لك احذية جديدة ، تعالي يابيني ، فاننا ذاهبون»

رفع تاميلان الفتاة الصغيرة ووضعها فوق ظهر دارلنك

العريض . فقالت «انه يشبه الجلوس على اريكة واسعة ! سوى ان الاريكة لاتتخبط كظهر دارلنك !» وهكذا ساروا نحو القرية على طول الزقاق حيث كان البقدونس منتشراً بجوار كل الاسيجة . والحوذان البصلي بدأ يرى في الحقول . والتلال البيعيدة كانت زرقاً ، وكان الريف في اجمل حلله .
قالت شيلا ر«عجباً ! ماذا تسمى كل هذه الازهار ؟»
وانحنت تلتقط باقة من تحت السياج .
«يوجد الكثير مما تتعلمه ان كنت تعيش في الريف ـ اسماء الازهار والاشجار والحيوانات والطيور ـ ومع ذلك فان الريفيين قليلاً مايعرفون اية اسماء لكل ذلك .»
قال تاميلان «انت مصيبه هنا ، ومن الغريب ان كثيراً من الناس يحبون العيش في الريف ولايعرفون الا القليل عن هذه الاشياء ! حسناً ، شيلا ، صممي على ان تعرفي اكثر مايمكن ، انه شيء ممتع ـ كما ترددين انت دائماً .»

كان روري يقود دارلنك في الجهة اليسرى من الزقاق ، فطلب منه تاميلان قائلاً «روري خذ دارلنك الى الجهة اليمنى من الزقاق فقيادة حصان يلزم ان تكون دائماً في الجهة اليمنى .»
قال روري «ياالله ، نعم لقد نسيت ذلك فقد اخبرني جيم بذلك من قبل»
ثم اخذ دارلنك الى الجهة اليمنى من الطريق وكان الحصان

من جهة الصبي اليسرى فطلب منه تاميلان ثـانية «كن في الجهة الثانية من الحصان ، يـاروري ، خذ الـرسن بيدك اليمنى وامسك به قريباً من رأس الحصان ، وامسك بالطرف الراخى من الحبل بيدك اليسرى . وهذا هو الصحيح يابني . والان اذا ماحدث شيء ما يهيج الحصان فانت في سيطـرة تامة .

«شكراً لك ياتاميلان» قال روري الذي لم يكن يرفض ان يتعلم كل جديد .» افرض انني كنت اقود حصاناً وعربـة ، فهل ابقى في الجهة اليمنى من الطريق ايضاً ؟»
قال تاميلان «كلا بل اليسرى ، ولكن اذا صادفت حصـاناً يقاد ، فعليك حينئذ ان تذهب الى الجهة اليمنى . راقب هذا الحصان والعربة وهما ياتيان .
فانتما كلاكما في نفس الجهة من الزقاق ، انظر مـاذا تفعل العربة .»

كانت عربة زراعية مشدودة الى حصان يقودها سائق .
وحالما شاهد السائق روري يقود دارلنك ، اخذ حصانه عبر الجهة الاخرى للطريق ، ثم عاد ثانية ـ حين اجتاز روري .
قال تاميلان «ذلك هو قانون الطريق فيما يتعلق بالخيـول ، ياروري ، وانت يانطاط ، لقد مضى زمن عليك مذ تعلمت قواعد الطريق ايضاً ! كنت ستصطدم بالعربة»

وصلوا الى محل الحدادة ، وكان مكاناً مثيراً ، بنار كبيرةٍ مشتعلةٍ في مؤخرته . وكان الحداد رجلاً ضخماً ملتحّياً وذا وجهٍ اسمر . وكان شعره المجعد الاسود مبتلاً من حرارة الحدادة .

قال لروري «صباح الخير ياسيدي الصغير ، واذن ، فقد جلبت دارلنك للتنعيل . آه ، انه حصان جيد ، هذا الحصان !»

قالت بيني وهي تنزل من على ظهر دارلنك» كل يقول ذلك . هل ستنزعون نعله القديم اولا ايها السيد الحداد ؟»

قال الحداد ضاحكاً «طبعاً . راقبي ، وسترين ما افعل ، ارفع يادارلنك ، ارفع !»

«لماذا على الخيول ان تلبس احذية ياتاميلان» قالت بيني وهي تدس يدها في يد الرجل المتوحش ، الكبيرة السمراء . «فالبقر لايحتاج ، هل يحتاج ؟ وكذلك الاغنام او القطط او الكلاب .»

ضحك تاميلان وقال «حسناً ، يابيني ، ماكان الحصان ليحتاج الى نعل لو انه يجري فقط على الارض الناعمة الحشيشية ـ ولكن عليه ان يسير فوق طرقنا الصلبة ، وبهذا ينكسر حافره ان لم يكن منعلاً . ان حافره مصنوع من نفس مادة اظافرنا ، كما تعلمين ـ وهي نوع من المادة القرنية في قدمه .»

راقبت بيتي والأطفال الآخرون الحداد . وكان يرتدي مئزراً جلدياً . وبعد أن رفع قدم فرانك الخلفية ونظر فيها ، تناول كلابة وسحب النعل القديم من الحافر ثم كشط بازميله جزءاً من الحافر النامي حديثاً .

وسألت شيلا «ما هذا الجزء البارز في وسط حافر الحصان ؟»

فقال تاميلان «هذا يسمى الضفدعة» فضحك الاطفال .

بينما قالت بيتي «أي اسم مثير للضحك لجزء من حافر حصان هل أنها تنق ؟»

قال بوبي وهو يضحك ضحكة ، أفترض يا تاميلان أن الضفدعة ماهي الا الجزء الذي يسير عليه الحصان غير المنعل»

قال تاميلان «أجل والآن الحداد وهو يصنع حذاءً جديداً لفرانك ، انه ماهر في عمله .»

راقب جميع الأطفال الحداد وهو يتناول قضيباً مستقيماً من حديد [illegible] الى ان اصبح حذاءً جديداً [illegible] . ووضعه [illegible] من النعل [illegible] شكل حافر الحصان ثم طرق عليه بمطرقة [illegible] مرة ثانية [illegible] مرة أخرى .

قال [illegible] النعل القديم [illegible] لأجل [illegible]

[illegible]

[illegible]

تماماً على الحافر ؟ لا ـ ليس منطبقاً تماماً ـ

ـ انظروا الآن اليه وهو يزيل الاجزاء التي احرقها النعل .
لامست النعل حافر دارلنك حين وضعها الحداد ثانية في حافره وعندها وضع الحداد النعل في ماء بارد ثم وضعه ثانية فوق الحافر . ورفع دارلنك صابراً قدمه لانه كان يعرف بالضبط ماذا كان يجري واذا وقف ثابتاً بصورة كاملة .
وصاحت بيني «انه يسمر نعل حافر دارلنك ، آه ياتاميلان ، الا يؤذي ذلك دارلنك ؟»
قال تاميلان «لا بالطبع ، هل يؤذيك قص اظافرك ، يابيني ، او حين تبرد ؟ ان دارلنك لا يشعر بشيء من هذا قط ـ انظري كيف انحنت المسامير قليلاً في تقويمها . وذلك لكي تثنى الى الخارج حين تطرق والا نفذت في لحم الحافر وآلمت دارلنك . وبهذا يصبح اعرج .»
ثم عالج الحداد المسامير بسرعة واتقان . وصقلها بمبرد .
وهكذا انتهى العمل في نعل واحد . وانزل دارلنك حافره وداس قليلاً .
فقالت بيني «دعه ليرى ما اذا كان ملائماً ، وانا ايضاً اود في كل خطوة يخطوها .»
اخذ الحداد قدم دارلنك الخلفية الاخرى وقاس عليها فردة

حاراً ايضاً ، وقال بصوته العميق «اتريدون ان تلاحظوا بان النعال الخلفية مسننة اكثر من النعال الامامية ، فحين تلتقطون نعل حصان في الطريق ، ستكونون قادرين على معرفة ان كان يعود للقدم الامامية او للقدم الخلفية .»

لم ترق رائحة احتراق الحافر لبيني ، فخرجت مع النطاط ، وبقي الاخرون مع تاميلان يراقبون . رغب بينجي ان يكون حداداً ، وفكر ان حياته ستكون جميلة لو كان له محل حدادة خاص به ، وفيها نار مشتعلة وجميع انواع الجياد تأتي في الصباح وفي الظهر وفي المساء لتنعل .

سأل بيجي الحداد «اتوقع انك مشغولية جداً ، اليس كذلك ؟»

فقال الحداد «ليس بقدر ربع شغولية ابي ولاعشر مشغولية جدي ففي الازمنة القديمة ، قبل ان تأتي السيارات وقبل ان يحصل الفلاحون على هذه المكائن الجديدة لتعمل في مزارعهم ، كانت توجد خيول كثيرة ، اكثر مما نستطيع تدبيره . ان مهنتي تتلاشى ولا توجد جياد وعربات في هذه الايام ، كما يوجد قليل من الخيل في المزارع . لاتكن حداداً ايها السيد الصغير ! فقلن يوفر لك ذلك اي نقود ؟»

قال بينجي «حسناً ، سأرى ، فقد تكون لي يوماً ما مزرعتي الخاصة ـ وسأديرها بالجياد ، وسيكون لدي محلي الخاص

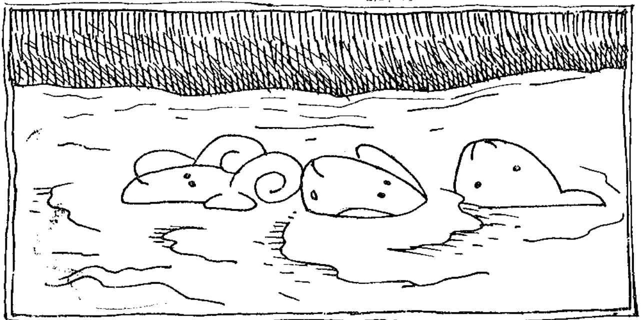
للحدادة وعندها سيكون الامر اذ ذاك ممتعاً .»

«لقد انتهى العمل في الحصان» قال الحداد وهو يضرب بخفة ظهر دارلنك اللماع «اذهب ايها العجوز ، وعد الى عملك» وامتطت بيني ظهره ثانية وسار ببطء ففي الزقاق ، وجاءتاميلان معهم لتناول الشاي ، وهذا شيء حسن ، فانهم سيسيرون معاً في مسيرة ، وسيحكي لهم الرجل المتوحش كل ما كان يعرف عن الحيوانات والطيور التي صادفته .

«متى انت آت ثانية» سأله بينجي حين ودعهم تاميلان في وقت متأخر من النهار .

قال تاميلان «سآتي لاجل تغطيس الاغنام . لانني اقدر ان اساعد في ذلك . والاغنام تكره ان تغطس وانا استطيع تهدئتها بعض الشيء . فانتظرني في وقت تغطيس الاغنام يابينجي . واظن انه سيحصل في الحال .»

الفصل السابع عشر



يوم سيء في حياة الاغنام

كان تاميلان مصيباً ، اذ ان دافي اراد ان يغطس الاغنام بعد اسبوع او اسبوعين ، لان الذباب كما قال ، يأوى اليهـا ، ويضـع بيضه في الصـوف ، الا ان اشياء حدثت لتؤجل الغطس . ثم وجد دافي واحدة او اثنتين من الاغنام في حالة سيئة حقاً .

فقال للاب «اذا لم نغطس الاغنام بأقرب فرصة ممكنة ، فاننا سنأسف على ذلك»

وقد ذهب الاطفال لمشاهدة حوض التغطيس ، وقالت بيني «انه يبدو كنوع من حمام يثير الضحك فهو غائر في الارض

اليس هو عميقاً على الاغنام ان تسبــح فيه ، اليس كـذلك ياروري ؟»
فقال روري «نعم ، اظن ذلك ، انــه حوالي ثمــانية عشر الى عشرين قدماً طولاً ياالهي ، في الوقت الذي يسبحون فيه فان اصوافهم وهذا مانريده طبعاً .»
سألت شيلا «وماذا وضع في الحمام ؟»
«مطهر قوي جداً» قال روري متباهياً . وانه يعرف الكثير عن المسألة . سيغطس الرجال الاغنام غداً ، اذن فسنرى كل مايحدث وكيف ستبغض الاغنام الغطس . ياللمساكين .»
كان روري مصيباً ! فالاغنام كانت تكره الغطس حتى اكثر من جز اصوافها . هيأ جيم وبيل الحمام ، ملآه ماءً وافرغا فيه علبة كبيرة من شيء ما .
«اف ... ان له رائحة بغيضة» قالت بيني وخرجت لبرهة فقد كانت تكره الروائح دائماً . وحرك الـرجلان الحمــام خبطاً بالعصا . فصار عكراً .

جاء راسكال وتنكرونانسي بالاغنام من التــلال صباحــاً الى حظيرة قريبة ، وكانت تثغو ، لانها عرفت ان شيئاً ما غيرسار سيحدث لها !
وقال روري مبتهجاً «ها هوذا تاميلان ! قال انه سيأتي . هللو تاميلان ، لقد اتيت في الوقت المناسب .»

وسرداني لحضور تاميلان ، فقد كان الرجل المتوحش لطيفاً مع الحيوانات ، وسيكون ذا نفـع في تغطيس الاغنام التي كـانت على الـدوام صعبة المـراس حين يـراد تغطيسـها في الحوض .

قال تاميلان «هللو . ايها الاطفال ، انا مسرور ان اغنامكم ستغطس في هذا اليوم . احسب ان هذا قد جاء في وقته لانقاذ بعضها من المرض ياداني»

سألت شيلا «وكيف تمرض ؟»

فقال تاميلان «حسناً ، في هذا الجو الحار يفقس بيض الذباب خلال ساعات قليلة داخل اصوافها .

واليرقات تنهش بشراهة وتسبب للاغنام اضراراً كثيرة . وفي قطيعكم يوجد قليل ممن هن في حالة سيئة .»

قال روري «انظروا ! انهـا اول شاة تسـاق نحو الممـر الى الحوض !»

كان الممر حاجزاً قد اقيم من الحظيرة الى حوض السباحة ، وجعلت الاغنام تجري في ذلك الممر لتصل الى حوض السباحة وهناك كانت تقف ، لاتريد الدخول في الحوض ابداً .

فتمسك عندئـذ بالشـاة يد فـلاحية قـوية وتـدفع بهـا الى الحوض . كانت الشاة تثغو بما يثير الشفقة ، وحين تجـد نفسها في الماء تظل تضرب بارجلها .

صرخت بيثي «انها تسبح ، لم ار من قبل شاة تسبح .. انظروا ، انها تسرع !»

سبحت الاغنام في الحوض ، وكان يبدو لها سبيلاً طويلاً وهي تلهث ، انها تخاف الماء وتخاف الرجال الذين كانوا يصرخون بها . ولذلك تريد ان تخرج وتهرب !

سألت بيثي ساخطة «لماذا يلزم ان تسبح الاغنام المسكينة كل هذه المسافة الطويلة . انه شاق ! لماذا لايجعلون المسافة اقصر ؟»

قال تامبلتن «حسناً يابيثي ، ان المطهر يجب ان يتسرب الى كل جزء من صوف الشاة وجلدها .

فاذا كانت مسافة الحوض قصيرة ، فمن المحتمل عدم نقع الاغنام كلية ، [illegible] اليرقات والبيوض حية لتؤذيها الاخرى . [illegible] الاغنام تسبح لمسافة طويلة ، فاننا نتحقق من انها [illegible] الجلد .»

وقد [illegible] الاغنام في الاخير [illegible] الحوض [illegible] الى [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الاغنام [illegible] ؟ [illegible]

الى الحوض ، وبهذا يكون الضياع قليلاً .»

رأى الاطفال بأن المطهر المتساقط من الاغنام يعود الى الحوض . وحزنوا من اجل الاغنام المقطرة ورجوا ان يسمح لها بالعودة الى الحقل في الحال ..

سألت بيغي «هل ستعود في الحال لأكل العشب في التلال ؟ اود لو انها تفعل .»

قال تامبلان «الى ان تجف . ترين لو ان السائل يقطر من الاغنام على العشب ، فانه يلوثه ، فاذا اكلته الاغنام فيمكن ان تمرض . وعليه لابد لها من الانتظار قليلاً ، لتجف ، وبعدئذ يدع داقي كلابه تعود بها الى التلال لترعى .»

وهنا صاح رودي «شاة اخرى تغطس في الحوض !» وشاة ثانية سيقت ثم ثالثة ورابعة وامتلأ الجو بثغاء مرتعب ، في حين كانت الاغنام تكافح وهي في الماء وتسبح لاهثة الى الطرف الاخر من الحوض .

ان فطانة الشياه في الحوض جعلت الشياه [illegible] تحس بالخوف ، فجرت حول الحظيرة [illegible] داقي الى تامبلان .

وهنا قال الراعي بابتسامة «هلا [illegible] من الحظيرة وتكلم مع الاغنام [illegible] حيث كان يحتفظ بالحيوانات . فوقفت الا[illegible]

وكان مما يلفت النظر ان ترى تاميلان مع حيوانات او مع طيور ، اذ يكون عليها ان تصغي اليه ، وان تسكن . كان صوته على الدوام يهدىء اي حيوان في الحال حتى ولو كان يتألم ألماً شديداً ، ان له وسيله رائعة مدهشة معه .

وراقبه بينجي حيث كانت الاغنام قد تزاحمت حوله مرتاحة ولم تكن الان خائفة من الثغاء الوحشي الذي كانت تطلقه الاغنام المغطسة في الحوض .

فكر بينجي «كم اود ان اقدر على انّ اعالج الحيوانات كما يفعل تاميلان ، ياآلهي ، لو قدرت ، فسأحاول تدجين الحيوانات وجعلها اليفة ، مثل الاسود والنمور والدببة والفيلة . آه ما امتع ذلك !»

وكان على الاغنام ان تذهب واحدة بعد الاخرى الى منحدر قرب الحوض . ولا تحدث ضجة كتلك . وسر الرجال لان العمل قد انجز بسرعة اكثر لان الاغنام سهلة الانقياد . كما كان العمل كثير الفوضى ولذلك سروا حين انتهى .

كانت كل شاة تقف برهة في المستقطر وحين فعل ذلك نصفها صار الماء قذراً ، فنزح الرجال الماء وابدلوه بماء نقي .

قال تاميلان مسروراً «هذا شيء حسن . انه يعطي الشياه الباقية فرصة جيدة للطهارة الان . ومن الخطأ استعمال الماء اكثر من اللازم قبل ان يستبدل»

وحالما تركت الاغنام المستقطر ذهبت الى حظيرة كبيرة وهناك كان عليها ان تبقى الى ان تجف فلا يخشى عندئذ من قطرات تلوث العشب .

كانت الكلاب ، راسكال ونانسي وتنكر منطرحة تنتظر بصبر الى ان تكون الاغنام حاضرة : وعندها ، ستأخذها الى التلال ثانية لدى اشارة من يد دافي .

وكانت على بعد من الحوض ، وما كانت ترغب ان تسبح هناك هي ايضاً .

افتقدت بيني النطاط فجأة ، اين يمكن ان تكون ؟

هل ارتعب من الثغاء وفر الى الخارج بنفسه الى مكان ما ؟

ودعته الفتاة الصغيرة : «نطاط ، نطاط ، اين انت ؟ تعال يانطاط !»

فأجابها ثغاء يثير الشفقة ، وشاهدت النطاط في حوض السباحة مع شياه اخر ! كان قد سقط في الحوض وعليه ان يأخذ دوره .

صرخت بيني «أه ، اوقف النطاط ، اوقفه ، سيغرق ، انقذه يادافي !»

ولكن الوقت قد تأخر لايقاف النطاط من الوقوع في الحوض وهكذا دخل مع الاخرين ، وتقافز هناك ، يثغو بأعلى صوته . وصعد ، وكل واحد يضحك منه .

اندفعت بيني لتأخذه ، ولكن دافي صاح بها «كلا ، توبيني ، كلا ، لاتلمسيه مادام لايزال مبتلاً ، ستتلوثين . دعيه يقف في المستقطر مع الاخرين .

فحملك هذا دائماً يتعرض لشيء ما .»

وهكذا كان على النطاط المسكين ان يقف في المستقطر مع الاخرين ، وبعد ذلك الى الحظيرة ليجف . كانت بيني خائفة ولكن الاخرين كانوا يضحكون بصوت عال .

قالت وهي على وشك البكاء «ماذا سيكون شعورك لو ان سنجابك قد سقط في حوض الغطس يابينجي ؟»

«أوه لن يكون هكذا احمق !»

قال بينجي وهو يمسح على سكامير بيده وكان كالعادة فوق كتفه «ينبغي ان تعلمي النطاط بعض التعقل ، لو لا انك تتعاملين بنفس الطريقة مع البعض احياناً !»

قالت بيني «ان رائحة النطاط كريهة بعد ان جف» .

وارادت ان تلاطف الحمل وتريحه بعد حمامه الكريه . ومع ذلك فانها لم تتحمل ان تكون يداها كريهتي الرائحة .

ولذا ذهبت لترتدي قفازيها العتيقين ، مما جعل كل واحد يضحك عالياً اكثر من السابق !

صرخ دافي «لاتقلقي ياتوبيني . حملك لم يؤذ ، بالعكس بل ان ذلك قد احسن اليه . راقبي وستري كم هي احسن اغنامي

بعد حمامها !»

وهكذا صارت الاغنام . اكثر نشاطاً ، واسعد حالاً ، وكان دافي راضياً عنها . وقال ترين ان ـ جميع البيوض وجميع اليرقات الدودية قد ولت الان . واني قد حافظت على غنمي سليمة وصالحة فلن يقترب الذباب منها ولن احتاج الى تغطيسها . وفي احدى السنين كان علي ان اغطس الاغنام عدة مرات لكي تعتاد عليه .»

وسألته بيني «وهل يوجد عام لم تغطس فيه الاغنام مطلقاً ؟»

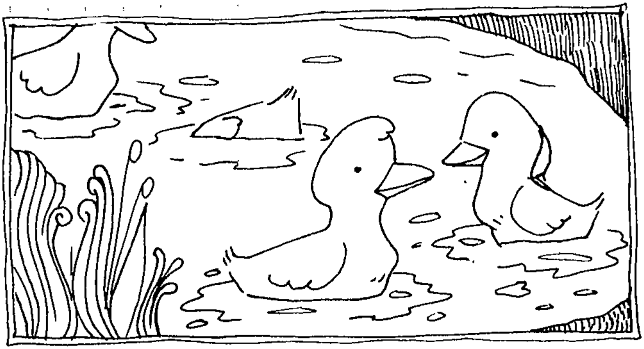
فقال دافي «حسناً ، يوجد قانون يقول ، اننا يجب ان نغطس اغنامنا عدة مرات في السنة . وانه قانون جيد . لان ذلك يوقف انتشار الامراض ـ بين القطعان . وان فلاحاً مهملاً واحداً يمكن ان يوقع الكثير من الضرر بالاخرين كما تعلمين لذا ينبغي بذل العناية الكبيرة بحيواناتنا كما نفعل لانفسنا .»

وقال روري بجدية «ماكنت اعرف مطلقاً ان هناك اشياء كثيرة يجب عملها في مزرعة ، وحين اعني اني اريد ان اكون فلاحاً عندما اشب فأنا مسرور بالتعلم الان .

الفلاحة جيدة ، اليست كذلك يادافي ؟»

فقال دافي «انها مهنة الرجال ياسيدي الصغير ، انها مهنة رجل !»

الفصل الثامن عشر



لكل عمله الخاص

مـرت الاسابيـع بسعادة . كـان الاطفال يـذهبون الى دروسهم خلال ايام الاسبـوع ، ويتمتعون بعطلـة السبت والاحد بشكل ممتاز وكان هناك دائماً شيء جديد في المزرعة . كان الجو رائقاً ومشمساً ، والاطفال قد اسمّروا كالبلوط . والملبنة تعمل عملاً حسناً ، والام فرحة لأن قشدتها وزبدها يباعان بشكل جيد .

لقد امتدح الجميع الزبد ، وقالوا كم لذيذاً هو .

كانت هارييت تتقن طريقة وضعه في قوالب ذات رطل ، وذات نصف رطل ، كما تعلمت شيلا كيف تغلفه باحكام .

وكانت شيلا تشعر بالسعادة في ايام الصيف تلك ، حين كانت تعمل في المزرعة الجارية مع امها وخالتها . كان شيئاً ممتعاً فرز القشدة من الحليب وخض الزبد من القشدة .

وكان ممتعاً السماح لها بقولبة الزبد وختمه ليكون مناسباً للأسر والمتاجر . كانت شيلا تشعر بالفخر حين ترى اكوام الزبد الاصفر الذهبي فوق رفوف الثلاجة وقد ختمت بورق علامة مزرعة الصفصاف .

وكانت هي وفاني مسؤولتين كلياً فيما يخص الدجاج . حيث وضعتا مئات من البيض تحت دجاجات ، واشترتا اوزة وخمسين فروجاً صغيراً لتطعمهما وتربيهما

ان المزرعة مليئة الان بالدجاج والفراخ والفروج ، فضلاً عن مقدار من البط الذي يسبح بمرح في البركة من الفجر حتى الغروب .

باعت الفتاتان كثيراً من البيض وحصلتا على كمية كثيرة من النقود . ولا تزالان تحتفظان بسجل البيض بكل عناية .
وكانت شيلا تشعر انها كبيرة حين كانت ترى ابويها كل ما دونت فيه .

وعلم رودي وبينجي كيف يسوسان الخيل .
وقال ابوهم «ان استطاع الولدان ان يسوسا الجياد بدلاً من جيم صباحاً فسيكون ذلك اسهاماً كبيراً في هذا الصيف المليء

بالشغل . وبهذا يتفرغ جيم لعمل آخر .

كان رودي وبينجي بالطبع مسرورين ، لانهما كلاهما كانا يحبان خيول شاير ، وكان أفضل لديهما «كابتن» و «ماوسوم» و «دارلنك» .

رآهما جيم كيف يمسحان وقال «تمسحان بجانب الحصان القريب اولاً ، والجانب القريب هو الجانب الايسر طبعاً ، والآن ، خذ الفرشاة بيدك اليسرى والمشط المنظف الجلد بيدك اليمنى . تلك هي الطريقة يارودي .»

«أي مشط مضحك هذا ؟» قالت بيني كانت تراقبهما باهتمام بالغ ، لا احب ان امشط شعري بمثله .»

وقال رودي «له اسنان من الحديد ، ماذا افعل بعد ياجيم ؟»

فقال جيم «ابدا بالرأس ، مشط بالمشط وفرش بالفرشاة على التوالي . والآن الى العنق ، ثم الكتفين ، وبعدها الساق الامامي ... استمر ، هذا صحيح . اعمل بقوة ، فالحصان يحب ذلك .»

مشط رودي وفرش ، وجعله ذلك يشعر بالحر ، ولكنه لم يهتم فقد كان العمل ممتعاً مع الخيول . مثل هذا العمل ، كان عملاً حقيقياً ، كما حسب رودي .

وقال جيم «انفض مشطك بقوة في المربط لطرد الوسخ والشعر منه» وهكذا ضرب رودي المشط لينظفه .

وراقبه الاخرون وهم يودون لو انهم يفعلون ذلك مع حصان ايضاً . وقال بينجي ان دوره سيكون في اليوم التالي .

وقال جيم : اذا انتهيت من هذا الجانب من الحصان ، فعليك بالجانب الثاني وسأتركك الان ، وحين تنتهي منه ، اطعمه ـ ثم سأرجع واساعدك في اسراجه .» وصار بوسع روري وبينجي ان يعالجا شؤون الجياد بشكل رائع . وكانا في الحقيقة كالرجال جودة وصار ابوهما بهما فخوراً وكان بينجي احسن من روري لانه يحب الحيوانات وهي تحب ان يعنى هو بها .

كانت بيني مولعة بمشاهدة الشكيمة حين توضع في فم الحصان ، وسألت «كيف تسلك داخلاً بهذه السهولة ؟ يبدو انها مناسبة تماماً .»

وهنا فتح جيم فم دارلنك وارى الصبية الصغيرة اسنان الحصان القوية وقال «انظري ، توجد في الفك الاسفل فجوة بين اسنان دارلنك الامامية واسنانه الخلفية ـ هناك بالضبط . انظري ـ هنا يدخل اللجام براحة تامة»

قالت بيني وهي تنظر بأسى «اوه ، هل قلعت تلك الاسنان لتجعل للجام مكاناً ياجيم ؟ ما اقساك !

فضحك جيم بصوت عال ، وبيني تقول دائماً مثل هذه الاقوال التي تثير الضحك . «لا ، لا ، لاتفعل اشياء كهذه .

فلدى الحصان هذه الفجوة دائماً . فالاسنان لاتنبت هناك ـ ولذا تضع الشكيمة في تلك الفجوة ويظل الحصان مرتاحاً .»

وقالت بيني «اوه ، انا مسرورة انك لم تقلعها لتهيء مكاناً للشكيمة ، اليس من الخير ان تكون اسنان الحصان قد خلقت على هذه الصورة ؟»

كان احد الاشياء التي اسعدت جيم في ذلك الصيف ولادة ثلاثة عجول ، في المزرعة . والبقرات اللواتي ولدنهم هي «ثركب ، وكلوڤر وديزي . وكانت حمراً وبيضاً وذوات عيون رمادية ناعسة .

كانت العجول تشبه امهاتها وهي فاتنة الى حد بعيد . وقد كانت بيني تذهب لمشاهدتها عشرين مرة في اليوم في الاقل .

وكانت العجول تمص كفها الصغير وتحب هي ذلك . انها مخلوقات صغيرة لعوبة ، ليست رزينة كالبقرات السمان الكبيرات .

وقالت بيني لابيها حين سمعت بميلاد العجول .

«ابي ، اريد ان اربي العجول وسافعل ذلك حقاً .»

فشيلا وفاني تربيان الدجاج هما بنفسيهما الان ـ ولاتريد ان ان اساعدهما قط . وروري وبينجي يعنيان بالخيول . وليس لدى غير النطاط اعنى به ، والان وقد كبر ليأكل العشب ، فلا

حاجة بي لان ارضعه الحليب بالرضاعة .»

ولكن ياعزيزتي بيني ، انك اصغر من ان تكوني عوناً حقيقياً .»

قال ابوها وهو لايزال يظن بيني طفلة صغيرة جداً «انك في الثامنة من العمر .»

فقالت بيني وهي تكاد تبكي «حسناً ، لا اقدر ان اساعد بذلك ، واريد ان ابلغ التاسعة بأسرع مايمكن ، ولكن السنة تستغرق وقتاً طويلاً لكي تنتهي ، واعتقد انك ستدعني آخذ العجول ياابي وان تاميلان يشعر متأكداً باني سادبر امرها بشكل جيد . ويقول ان الامر هين اذا كانت العجول سليمة منذ البدء ـ وعجولنا كذلك هي .»

وفي الاخير وجدت بيني سبيلها ، ولو ان هاربيت كانت تساعدها في اول الامر ـ وكانت الفتاة طاغية الفرح .

«آه ، يانطاط ، سأقوم بعمل حقيقي الان ، كالاخرين»

ثم خاطبت حملها الذي كان يتبعها في كل مكان . «ستفارحين تراني اطعم العجول ، يانطاط ـ ولكني لن ارضعها بزجاجة كما فعلت معك !»

كانت هاربيت تصب الحليب في السطول للعجول الثلاثة ، التي تكون في الحقول خارجاً طيلة النهار ، اما في الليل

فيعيدونها الى السقيفة . وكانت بيني تصحب هارييت لاطعام العجول :

«انظري الآن لما اقوم به» قالت لها هارييت وهي تضع السطول امام العجول انها لاتعرف الان كيف تشرب ، لانها مواليد حديثة ! حسناً ، علينا ان نعلمها كيف تمص ، كما تفعل جميع المخلوقات الصغيرة ، ولكن ، على هذه العجول ان تتعلم الشرب لا المص . يجب ان نعلمها .»

سألتها بيني «كيف ؟ النطاط يمص من قنينة ، ولكن العجول لاتستطيع ذلك ، انها أكبر مما ينبغي .»

«راقبي الان» قالت هارييت وغمست اصابعها في سطل الحليب الى ان اخذ السائل الابيض يقطر منها . وقربت يدها من اقرب عجل فلم يهتم .

فوضعت اصابعها المتبلة بالحليب على فمه ، وفي الحال شم العجل رائحة الحليب وفتح فاه ، وشرع يمص يدها .

قالت بيني وهي تنظر بفزع الى سطول الحليب الكبيرة ـ «آه ، ولكن ياهارييت ، سيأخذ هذا العمل دهوراً ودهوراً في اطعام العجول على هذا الشكل .»

فضحكت هارييت وقالت «راقبيني يابيني ، راقبيني» وابعدت يدها ببطء عن سطل الحليب فتبعها العجل بفمه وهو تواق لأن يمص يدها ثم غمست هارييت يدها بسرعة في

الحليب ثانية وقدمتها للعجـل ، وسحبتها حـين كان يمص بقـوة . ووضعتها ببطء في الحليب . فتتبـع العجل يـدهـا جائعاً ـ ودس انفه في سطل الحليب !

امتص اصابع هارييت مشغولاً بها ، وحين كان فمه الان في الحليب كان بنفس الوقت يمتصه ويشربه .

قالت بيني «آه ، ذلك ذكاء منك يـاهارييت ، اخـرجي يدك ولاحظي ان كان العجل سيشرب هو بنفسه .»

ولكنه لم يفعل بل كان يريد اصابع هارييت يمص بها ، ولو انه يشرب الحليب جيداً ! وهكذا ابقت هارييت يدها في الحليب ، وظل العجل يمص ويشرب جائعاً .

قالت لها بيني متوسلة «دعيني افعل ذلك مع العجل الثاني - اعرف اني اقدر عليه .»

سمحت هارييت لها ، وما اشد فرحها حين بدأ المخلـوقات الصغـير يمص يـدهـا الصغـيرة ويتتبعهـا الى الحليب في السطل ، كما فعل العجل الاول تماماً مع هارييت .

«جيـد» قالت هـارييت ، «حسناً» يـابيني ، هـذه هي اول الخطى . ولن يطـول الوقت قبـل ان تجري العجـول لاول «صلصلة للسطول»

كانت هارييت مصيبة ، فقد تعلمت العجول في الحال شرب

الحليب . وحين كانت بيني تحمل السطول الواحد بعد الاخر ، كان عليها ان تعتني بها مثلاً بلا . تقلب العجول الجائعة السطول . وكان عليها اطعامها ثلاث مرات في اليوم ـ قبل الافطار وفي منتصف النهار وقبل ان تذهب الى النوم ـ وكان هذا عملاً ممتعاً تمتعت به الصغيرة كثيراً وجعلها تشعر انها مهمة وبالغة لكي تعطى عملاً خاصاً بها . اطعمت بيني العجول مدة تسعة اسابيع وثلاث مرات يومياً وصارت العجول تغذى بالحليب المفروز عن القشدة وعلمت هارييت بيني ان تضع قطرات قليلة من زيت كبد الحوت في السطول ، لتعوض عن فقدان القشدة . وكانت الفتاة الصغيرة دائماً تقيس ذلك بعناية ولم تهمل ذلك ولا مرة واحدة . وحين تجاوزت العجول الشهرين من العمر كان عليها ان تطعمها وجبتين في اليوم فقط صباحاً وليلاً .ثم تركت بعد ذلك للغذاء الصلب ـ القش واللفت وماشابهها . وكانت بيني تستفسر انواع الاستفسارات وهي على ثقة بانها ستدير شؤون العجول حتى ولو اصبحت اكبر سناً .

نمت العجول جيداً . واحبت بيني . وكانت حالما تظهر في بوابة حقلها ومعها النطاط . تجري نحوها ، رافعة ذيولها في الهواء . وهي فرحة بها سواء اكان معها طعام ام لم يكن . كانت في الليل تأتي بها من الحقل الى السقيفة الكبيرة المهواة

وتلاحظ ان لديها وفرة من التبن النظيف .

وبقيت تعني بهــا جيـداً بحيث تعجب من ذلــك الاطفــال الاخرون .

قال روري بجدية «بيني ، انت تكبرين حقاً»

فقالت بيني فرحة «آوه ، انا كذلك ! ما امتع الامــر ! ابدو دائماً صغيرة ، حين اكون مع الاخرين . ولكنني اشعر حقاً بأني كبيرة ومهمه حين اعنى بالعجول .

وربما يكون ذلك اني فعلاً قد كبرت .»

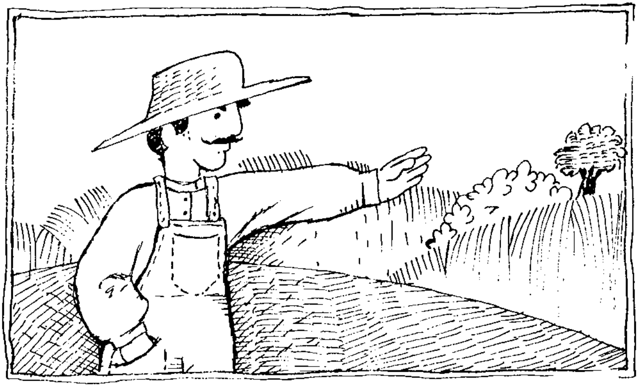
«لاتكبري بسرعة يابيني الصغيرة !»

قال تاميلان الذي كان يراقبها وهي تأخذ العجول الى الحقل «العجول اجمل من البقرات ـ والحملان احلى من الاغنام ، والفــروج ابــدع من الــدجــاجــات ـ والاطفــال الطف من البالغين ! وإذن فلا تكبري الان !»

«آوه ، لا افعل قالت بيني ، وهي تدس يدها في يد الرجل المتوحش «لسنين وسنين . ولكني اود ان اشعر باني بالغة حتى لو لم اكن كذلك ياتاميلان !»

قال تاميلان «حسناً ، انت تقومين بنصيبك في المزرعة وكلكم كذلك . انتم اطفال يفتخر بهم . انا اجهل في الحقيقة ماذا كانت ستفعل المزرعة من دونكم الان .»

الفصل التاسع عشر



زيارة لتاميلان - وعاصفة

كان لمنظر حقول القش في مزرعة الصفصاف منظر محبب . فالعشب يتحرك فيها ، وانواع من الازهار تتفتح هنا وهناك ، وكان الاطفال يحبون السير بجانب الاسيجة التي تحيط بالحقول . ولم يكن يسمح لهم بالدوس على العشب ، خشية اتلاف القش .

كما كان على النطاط ان يفعل ذلك ايضاً .

قال والد الاطفال مسروراً «ان غلة القش ، حسنة هذا العام ، وهذا يعني ان سيكون لدينا وافر منه لاطعام الماشية هذا

الشتاء ـ انه غذاء جيد لها . حسناً ، حين يحين موعد عمل القش ، فسأعطيكم انتم الاربعة عطلة . لاننا نريد عونكم .»

«آوه ، هذا جيد» صاح كل واحد منهم فرحاً بفكرة عطلة غير متوقعة .

وقال روري «سنعمل بكل جد ونشاط ، جس عضلات ذراعي ، اليست صلبة ؟»

جس ابوه عضلاته وقال مندهشاً بعد ان رنا اليه عن قرب «اقول صادقاً ، انها صلبة . من كان يظن انك نفس روري الشاحب ، الضعيف البنية الشديد الهزال ابن العام الماضي ! حسناً ، اننا نعمل عملاً شاقاً ـ ولكنه عمل يستحق هذا الجهد الصعب .

اذا مانظرت اليكم جميعاً ، وجدت كم انتم وسيمون ومتوردون . اما عن عمل القش ـ فسنبدأ به يوم الاثنين القادم ، لان الجو رائق في الوقت الحاضر .»

وسألت بيني «وهل ليس في وسعنا عمل القش بشكل متقن الا حين يكون الجو رائقاً فقط ؟»

قال الاب «حسناً ، انتم بالتأكيد تعرفون المثل القديم «اعمل القش بينما الشمس تشرق !» نعم ـ علينا ان نقطع القش وننقله بالعربة حين يكون الجو جافاً ودافئاً . فالقش الرطب ليس جيداً ويتطلب عملاً اضافياً كثيراً .»

«يجب ان يقطع ويقلب وينقل بالعربات ويكرس ، قال روري وهو يتذكر ما قد حدث في مزرعة شجرة الكرز في العام الماضي .

«ماذا يحصل يا ابي اذا ما كدس التبن قبل ان يجف تماماً ؟»

قال ابوه «يصير حاراً ، حرارة يسود معها لونه ـ بل قد يحترق . اتذكر في احد مواسم الصيف وانا اساعد عمكم تيم في عمل تبنه وكان الجو رطباً ، انه كان من المستحيل تجفيفه تماماً .»

فسأل روري «ماذا فعلتم اذن ؟»

قال ابوه «كان علينا ان نضع طبقات سميكة من القش في كدس التبن حين اقمناه لان ذلك يعمل على منع التبن من ان يصير اكثر حرارة حيث القش يمتص الرطوبة . وعندها صار القش علفاً ممتازاً في الشتاء كما اتذكر .»

قال روري «احب سماع هذه الاشياء كلها . وسأتذكرها حين تكون لدي مزرعتي الخاصة .»

ذهب الاطفال لزيارة تاميلان في يوم الاحد ، يخبرونه بأن العمل في التبن سيبدأ في اليوم القادم ، لم يكن تاميلان في كهفه ، فظنوا انه في بيته ـ الشجرة بجانب النهر ـ وذهبوا ليروه .

كان بيت تاميلان ـ الشجره ـ شيئاً ممتعاً حقاً ، مبنياً من صفصاف لايزال ينمو اخضر الورق ولو انه مقطوع من

الاشجار ـ هذا كان يبدو كما لو ان تاميلان يعيش في بيت نام ! وقد احبه الاطفال ، وكان فراش الرجل المتوحش من خلنج وسرخس .

وكان الفراش موجوداً في البيت ولكن تاميلان لم يكن يرى من اي مكان .

قال بينجي وهو يبحث بناظريه فيما حوله «عجباً» اين هو ؟ آوه ، انظروا ، ها هو ذا الارنب ! لقد جاء الى البيت ـ الشجرة ، الى تاميلان .»

كان الارنب جاثماً في ركن ، نصف خائف من الاطفال . ولكن حين توجه بينجي نحوه ، لم يهرب .

كان يعلم انه صديق ، وسمع في صوته نفس النبرة الحانيه الصديقة التي عرفها من تاميلان .

سمح لبينجي ان يضربه خفيفاً مداعباً ، ثم بقفزات سريعة قليلة هرب من البيت الى الاجمة .

قال بينجي وهو يراقبه «انه يعرج قليلاً . ولكن ماأروع ان تصلحت ساق المسكين . عجباً ، كيف نجد تاميلان ؟»

قالت بيني «ابعث سكامير يبحث عنه !»

قال بينجي «فكرة حسنة ، اين سكامير ؟»

كان السنجاب يتواثب حول البيت ـ الشجرة وهو يتشمم بحثاً عن صديقه ، تاميلان . كلمه بينجي .

«سكامير ـ جد لنا تاميلان ـ جده»
كان سكامير ذكياً ، وفهم ماذا عنى بينجي ، لانه هو ذاته كان يريد ان يجد تاميلان ايضاً ، لهذا تسلق الشجرة واخذ يبحث ببصره عن تاميلان من بين الاغصان .

مضى زمن طويل الى ان شاهد الاطفال صديقهم قادماً من ضفة
النهر وسكامير فوق كتفه !
صاحوا «هللو تاميلان ! لقد عثر عليك سكامير اذن !
قال الرجل المتوحش «نعم ، جعلني اقفز من مكاني ، لقد كنت مضطجعاً على
الشاطىء ارقب رفرافاً يصطاد سمكة ، حين وثب هذا الشقي فجأة
فوق ظهري !
وعرفت ان لابد ان تكونوا في مكان ما قريب هنا ، ولهذا جئت لاراكم .»
ذهب الاطفال مع الرجل المتوحش ليشاهدوا الرفراف يصطاد السمك وكان رائعاً ان تشاهده جاثماً فوق غصن دان يبحث عن سمك تحت .
«ها هو ذا يذهب هناك ! «صاحت بيني ، حين انقض الطائر الازرق الاخضر على الماء . وعاد ثانية بلحظة وفي فمه سمكة

صغيرة ردمها بالغصن وقتها ، ثم طار بها .
سألت بيني «اليس هو ذاهباً ليأكلها ؟»
قال تاميلان «بوده ذلك ، ولكن عنده عشاً في نهايـة نفق في شاطىء قريب ـ ولاشك ان زوجته جالسة على عش من عظام السمك ، تدفىء بيضها الابيض ، تؤمل ان يأتي لها رفيقها بشيء تأكله فيقول لها ـ حسناً ـ سنتغدى نحن سمكاً .»
«تاميلان ، جئنا نخبرك بشيئاً ما» قال بينجي وهو يضطجع على قفاه وينظر الى السماء الزرقاء الصافية «اقول ـ اليس هذا رائعاً !»
سأله تاميلان مندهشاً . «اهذا ماجئت تخبرني به ؟»
قال بينجي ضاحكاً «كلا ، طبعاً لا ! جئنا نخبرك بأن ستكون لنا عطله لبضعة ايام ـ فهل ستأتي لترانا ؟»

سأل تاميلان «ولكن ، ماسبب هذه العطلة ؟ هل انتم جيدون في دروسكم اخيراً ؟ لااصدق !» ضحك الاطفال وقال روري «لا ، ولكننا سنبدأ بعمل القش غداً . الن يكون ذلك ممتعاً ياتاميلان ؟»
ولكن تاميلان لم يبتسم وبدا قلقاً .
سألت بيني «ما الامر ياتاميلان ؟»

فقال تاميلان «لا اظن بانكم ستبدأون بعمل القش غداً . حيث ستحدث غداً مساءً عاصفة هوجاء مصحوبة بمطر ثقيل .

وسيكون من الاحسن تأجيل عمل التبن عندكم الى نهاية الاسبوع ، ولو اني اعرف ان القش جاهز الان .»

جلس بينجي وسأله «كيف يمكن ان تعلم ياتاميلان بأن عاصفه آتية ؟ فالنهار اليوم يبدو رائعاً لايوحي بعاصفة .»

قال تاميلان «بالنسبة لك ، ربما ، لكن يجب ان تتذكر بأني عشت كل هذا الوقت خارجاً . واعرف الجو كما تعرفون مناضدكم ! ولا يمكنكم ان تعيشوا كما اعيش ، فانا اتطلع الى السماء والتلال نهاراً وليلاً .

احس بالجو في خدي ، وارى كيف تحف الاشجار دون ان اعلم بالضبط ماسيكون الجو عليه وانا على ثقة تامة ان ستهب عاصفة غداً مساءً . وسيفسد التبن عندكم اذا قطعتموه غداً . والجو سيصحو ثانية يوم الثلاثاء ، وسيطيب الهواء ، ويدفء النهار وعندها سيكون القش على احسن مايمكن للقطع يوم الخميس او الجمعة»

فقال روري في الحال «يجب ان نخبر ابانا بهذا ، أوه ، تاميلان ، ارجو ان يؤمن بما تقول ومن المزعج الا تكون لنا عطله في الغد !»

قال تاميلان «هذا لايهم ، اذا كنتم ستنقذون غلة بيتكم ، هل يهم ؟»

قال روري «طبعاً لايهم ، حسناً من الافضل ان نعود ونخبر ابانا في الحال ، والا فانه سيقوم بجميع الترتيبات لعمل التبن .»

ودع الاطفال تاميلان واسرعوا نحو البيت . وجروا ليخبروا اباهم ولكنه كان في الحقول ينظر الى الماشية ، فجروا نحوه .

صاح بينجي «ابي ، لاتقطع التبن غداً ! ستحدث عاصفة يصحبها مدرار غزير من المطر ليلاً . هذا مايقوله تاميلان .»

قال ابوهم مفكراً «أوه ، تاميلان هكذا يقول ؟

حسناً ، حسناً ، لا ادري ماذا افعل . لقد قمت بجميع الاجراءات للشروع بالعمل غداً ـ ولكن لدى تاميلان طريقة غريبة بالتنبؤ بالجو . انظروا ، هناك دافي الراعي ، ادعوه الى هنا لنرى ما اذا كان يعتقد ان عاصفة ستحدث ايضاً .

وصاح الاطفال على دافي فجاء وتنكر في اثره .

اما الكلبان الاخران فظلا في حراسة الاغنام .

فسأله والد الاطفال «دافي ، ماذا تقول بعمل التبن في الغد ؟»

فقال الراعي الشيخ «العشب في حالة سليمة جيدة والجو صاح ، ولكنني اشك في انكم ستتعرضون الى عاصفة غداً .»

وهنا صاحت بيني «هذا ماقاله تاميلان بالضبط .»

طرفت عينا دافي نحوها وقال «اقال ذلك ياتوبيني ؟
حسناً ، ليس هذا عجيباً . فأنا وهو قد قضينا ايامنا نرقب الاشياء التي تساعد على تغير الجو وان السحب تخبـرنا ، اشياء كثيرة ، والطريقة التي تتجه بها الاشجار نحو الريح ، وتحسس الهـواء ، ومنظر التـلال البعيدة . وانـا اقول ان عاصفة رعدية آتية ، وانها عاصفة عاتية .
ياسيدي ، لو كنت مكانك لاجلت عمل التبن غداً ولا نتظرت يوماً او يومين الى ان يجف المطر وعندها يمكنك ان تقطـع بسلام اذ من المؤسف اتلاف محصول جيد كمحصولكم !»
«شكراً يادافي» قال الاب وذهب الراعي الشيخ فس سبيله ، وكلبه في اثره ، ونظر الاطفال الى ابيه .
فقـال «حسناً ، لاعمـل في التبن غـداً . سنـرى ان كـانت العاصفة ستأتي وان اتت فسنكون مسرورين اننا لم نقطع ، وان لم تأت فليس هناك من ضرر ويمكننـا القطع في اليـوم الثاني .»

ذهب الاطفال الى المدرسة في يوم الاثنـين وحين نظـروا الى السماء . كانت زرقاء صافيه من دون اية سحابة ترى .
قال روري «مناسبة جداً لقطع التبن ، ياآلهي اعجب كيف ستأتي العاصفة هذه الليلة .»
وحين ذهب الاطفال الى النوم في تلك الليلـة كانت السمـاء

لاتزال صاحبة . ولكن الام قالت ان عندها صداع رعدي ، وقالت هارييت بأن بعضاً من الحليب قد احمض واضافت هناك عاصفة اتية وفي الواقع كانت اتية .

استيقظ الاطفال في الساعة الثانية صباحاً على صوت رعدي شديد !ثم ابرقت السماء وانارت الغرف وعندئذ قفز الاطفال من اسرتهم وجروا الى نوافذهم حيث كان الجميع يحبون رؤية عاصفة رعدية طيبة .

هبت الريح في الاشجار بضوضاء مهسهسة ، ثم سقط المطر ، اولاً بقطرات كبيرة قليلة . ثم انهمر بغزارة يجلد الاشجار والازهار والغلة والعشب كما لو انه اراد ان يطرحها ارضاً .

هزيم رعد بعد هزيم كان ياتي ويحيط بالسماء ، وانار البرق كل النواحي وران الصمت على الاطفال ، متعجبين من هذا المنظر الرائع .

بقيت فاني معهم في غرفتهم وهي ترتجف . «ارجوك بالانسة شيلا ، هل اتي وادخل معكم ؟» سألت بصوت مرتجف اذ لا استطيع ايقاظ الخالة هارييت ، وانا خائفة جداً .»

قالت شيلا وبيني معاً مندهشتين «خائفة !مم انت خائفة ؟» قالت المسكينة فاني «من العاصفة» فسألتها بيني «ولكن لماذا ؟ انها لاتؤذيك فهي جميلة وعظيمة . تعالي وراقبيها»

«أوه ، كلا ، شكراً لك .»

قالت فاني وهي تربض خلف خزانة الملابس .» لااقـدر ان افكر كيف تجرأون على الوقوف في النافذة»

فسألتها شيلا «هل آذتك يوماً عاصفة ؟ كلا ؟ حسناً ، اذن لماذا انت خائفة ؟»

قالت فاني «أوه ، اعتادت امي ان تختبىء تحت السرير حين تكون هناك عاصفة . وهذا كان يخيفني برعب . وهكذا يخيل الي ان شيئاً مروعاً يوجد في العاصفة .»

وقالت شيلا وهي تتجه نحوها «كم انت تثيرين الضحـك ! فانت نفسك لست خائفة من العاصفة ـ ولكن امك ارتك انها كانت تخاف فلا تكوني حمقاء بل تعالي وراقبي .»

وهكذا تقدمت فاني لتعاين ـ وحين رأت كم هي جميلة تبدو الانحاء اثناء البرق النشيط ، نسيت خوفهـا واستحسنت المنظر كما يفعل الاخرون .

ثم اضافت «اقول بصدق انه عمل حسن اننا لم نقطع القش هذا اليوم ! والا لكان في الحقول خارجاً وهو مقطع ، ولكان المطر ينقعه مما يلزمنا ان نقلبه مـرات ومرات ! والان اذا صحت السماء واشمس الطقس وهب الهواء النقي غداً فانه سيجف واقفاً لا مقطعاً ويكـون على احسن حـال في يوم او يومين .»

وقال روري «كان تاميلان مصيباً تماماً وانه كذلك دائماً ! وانا مسرور اننا اخذنا بنصيحة ، تاميلان الشيخ الطيب .»

الفصل العشرون



عمل التبن في يوم مشمس

تحسن الطقس ثانية في يوم الثلاثاء ، وصحت السماء زرقاء لامعة .

قالت شيلا لفاني حين ذهبتا لاطعام الدجاج «لااري حتى ولا سحابة واحدة ! ولكن انظري الى البريكات تحت الاقدام في كل مكان . لابـد ان كانت هنـاك تيارات للمـاء ففي الليلة الماضية .»

قالت فاني «كان ذلك فعلاً ـ فحوض البط ملىء تقريباً بالماء هذا الصباح . والبط جذلان وهو يجد بريكات في كل مكان .

ما ابدعها لو ان اقدامنا نسيجية فنذهب نشق طريقنا في الماء خلال اية بريكة تصادفنا .»

ضحكت شيلا وقالت «هذا شيء ربما تقوله بيني .

انظري ـ تلك هي ، آخذة العجول الى حقلها .

بيني ، بيني ، اليس كل شيء ندياً هذا الصباح ؟»

صاحت بيني من بعيد «نعم ، فالعشب ينقع حذائي . وهناك الحال متبلة اكثر مايكون . بديع اننا لم نقطع العشب امس والا لكان اليوم مبتلاً ابتلالاً مرعباً .»

جففت الشمس العشب مع نهاية النهار ، وهبت رياح عليه في تلك الليلة اتمت عملية التجفيف ، ولذلك شعر والد الاطفال ان تقطيع القش سيكون مضموناً في يوم الخميس .

ثم صرخ روري بفرح حين سمع الاخبار وقال «ستكون لدينا عطلة حتى يوم الاثنين . اليس ذلك مدهشاً !

يقول ابي ان علينا ان ننهض فجر الغد للبدء بالعمل التبني ، فالكل سيساعدون في هذا الاسبوع . حتى امي وهارييت .»

سحب دارلنك وبلوسوم ماكنة قص العشب .

وكانت الماكنة تتعثر بقنوات مائية خلفهما ، وفي الحال بدأ حقل القش ومقصوصاً ، كما بدت الاغنام بعد جزها ! وفي وقت قصير جداً تحول القش المقصوص الى لون اخضر رمادي ، وطفح الجو بأريج حلو وقالت شيلا وهي تتشمم ذلك

«احب رائحة القش . ولاعجب ان تحب الماشية اكله في الشتاء فانا احس انه لايهمني ان افعل مثلها .»

كان القش المقصوص حديثاً يبعث رائحة زكية وبخاصة عند المساء . كان جافاً الى درجة ان الفلاح قال انه يحتاج الى ان يقلب مرة واحدة فقط .

ثم وضع القش مركوماً في صفوف طويلة . وكان الاطفال يلعبون حوله راضين بسرور بما يرمون حفنات منه على بعضهم البعض . ويختفون احياناً تحت القش ذي الرائحة الزكية .

قالت بيني «لايهم ان نعبث في حقل القش هذا العبث ، اليس كذلك ؟»

فقال ابوها «كلا ابداً فكلما فرش القش اكثر ، كان احسن ! لانكم تساعدون في تجفيفة وغداً سيقلب بصورة ممتازة»

وسأل روري «كيف كان القش يقص قبل اختراع الماكنة ؟ هل كان يقص باليد ؟»

قال ابوه «نعم ، ولابد انه كان عملاً طويلاً ايضاً !

وكانت حقول القش الكبيرة جميعاً يقوم بقصها رجال بوساطة المناجل وهي نصول حادة مقوسة ـ مثبتة في مقابض كبيرة ، وكان العمل سيستغرق منهم اياماً . وماكناتنا الحديثة تساعدنا كثيراً . وهذا لو كان لدي الكثير منها ـ ولكن حين

تبدأ المزرعة تعطي ربحاً فسأشتري ما أقدر عليه ، وستتعلم كيف تستعمل المكائن في مزرعة الصفصاف .»

«هذا حسن» قال روري مسروراً .»

وفي اليوم الثاني كان كل واحد يعمل بجد في حقول ـ القش ، يقلبونه بالمدمة لعرض الاجزاء المبتلة منه بكشفها للشمس والجفاف فلقد كانت ظروف القش جيدة ، وكان الفلاح مسروراً ، حين نظر الى السماء وقال :

«هذا الطقس الحار الجاف مناسب تماماً للقش .

انا مسرور اننا اخذنا بنصيحة تاميلان وانتظرنا لبضعة أيام .»

كان تاميلان يساعدهم في عملية القش وكان ذلك متعة له وللاطفال ، وبخاصة حين وجدوا بيني والنطاط غارقين في نوم عميق في احد الاركان فغطوهما بطبقة نظيفة من القش الزكي الرائحة ولم تدر بيني اين هي حين استيقظت ، ووجدت القش يعلوها !

قال الفلاح «يجب ان نكدس القش اكواماً وبصفوف طويلة داخل الحقل .»

فقالت شيلا بانزعاج «أوه ، اي عمل شاق يبدو هذا !»

قال الاب «لستم المقصودين ، لندع «كابتن» يقوم لنا بالعمل لانه سيجر المدمة ـ الحصانية التي تجمع القش اكداساً .»

ساعد روري جيم في اخراج المدمة - الحصانية الكبيرة وكانت بعرض من اثني عشر الى اربعة عشر قدماً ولها عجلتان قويتان وعدد من اسنان فولاذية .

واسرج كابتن في الحال مشدوداً اليها وشرع يعمل .

بينما كان روري يقود الحصان الكبير عالياً وسافلاً خلال الحقول .

ذهبت بيني للفرجة ، وهي تجري بجانب الماكنة وصاحت «روري ، انها ماهرة . فالاسنان الفولاذية تندفع تحت القش وتجمعه .»

قال روري متباهياً «راقبي الان مايحصل ، فالمدمة مملوءة بالقش - ولذا فأنا اسحب هذا المقبض ، فيرفع صف الاسنان الفولاذية - وعندها يسقط حمل القش بصفوف طويلة في الحقل . وهذا اكثر مهارة ، اليس كذلك يابيني ؟»

انجزت المدمة الحصانية وحدها عمل ستة او سبعة رجال . وتناوب جيم وروري على ادارتها ، وفي الحال بدت الحقول بهية بأكوام من القش المقلوب . وكان الشيء الثاني هو بناؤه اكواماً صغيرة داخل الحقل . وفي هذا قام الاطفال بالمساعدة ، وحين تركوا الحقل عند المساء كانوا تعبين ولكن سعداء وفكروا بأن كومات القش كانت تبدو محببة وهي منتصبة بسلام في الحقول وكأنها تحلم بالشمس والريح

والمطر تلك التي ساعدتها على النمو حين كانت عشباً .
سألت بيني «مالذي سيصنع بالقش فما بعد ؟»
«لابد ان يقام على شكل اكداس .» قال تاميلان وهو يرفع الصغيرة التعبى الى كتفه .» وستجدين بيل اصلح رجل لهذا .
انه يعرف كيف يذري وبوسعه ان يقيم احسن الاكداس ولعدة اميال هنا وهناك .»
قالت بيني وهي تغالب النعاس «ماكنت اظن ان بناء كدس القش صعباً هكذا انه مجرد تكويم للقش اعلى فأعلى .»
ضحك تاميلان وقال «انتظري الى ان ترى واحداً بيني . عندها سوف لاتظنين انه عمل سهل .»

نقل القش الى ساحة التكديس في عربة القش القديمة ، واحب الاطفال ذلك ، فتسلقوا الى اعلى العربة فوق الحمولة ، بينما كان دارلنك يسير ، كلب ـ كلوب ـ كلب ـ كلوب ، داخل الازقة التي كانت تعيق برائحة الاشجار وكان سياج الشجيرات يتثبت باصابع جشعة بالقش حين يمر به .
وقالت شيلا «بوسعك معرفة الطريق الذي تسير به في هشيم القش فوق السياج .

أوه ، اليس ممتعاً الاضطجاع فوق العربة . والقش الناعم تحتنا والسماء الزرقاء فوقنا . اظن ان ثقلنا الاضافي لايهم

دارلنك !»

لم يهتم دارلنك بالطبع بذلك . فلا فرق لديه ام كان فوق القش اربعة ام ستة ام اثنا عشر طفلاً ، بل سار متهادياً في الازقة نحو ساحة القش وهو قوي ، بطيء وصابر .»

خزن قسم من القش في السقيفة ولكن لم يكن لدى المزارع محل كاف لجميع القش ، ولهذا كان لابد من بناء اكثر من كومات . واتخذ بيل قراراً في الحال .

بدأ بأول كومة ، وراقب الاطفال العمل باهتمام شديداً . كان كدساً كبيراً بيضوي الشكل . وحين اصبح عالياً الى حد ما ، وقف على قمته بيل ورجلان آخران .

وقال للاطفال «علينا ان نرص القش بقدر مانستطيع وها هي ذي عربة قش اخرى قادمة .»

طلب من بينجي ان يكون حول الكومة وبيدة المدمة .

ثم قال له جيم «دم اجزاء القش المتراخية ، فبوسعك ان تحافظ لنا الكدس ، وتبقى الجوانب محكمة ملساء ،

هل ابوك هنا ، حسناً . سيقول لنا ماذا كان الكدس مائل الجانب قليلاً وعلينا اقامته الى ان يعتدل .»

قال المزارع «سأحصل على رافعة في السنة القادمة ، فهي ترفع القش بماكنة وتوفر عملاً كثيراً .»

فكر روري بأن رافعة كهذه ستكون شيئاً جيداً للغاية ، فهو قد هدهُ التعب لدى انتهاء التكديس !
وان ذراعيه يؤلمانه مع رميات القش !

سقف بيل الكدس ببراعة ليقيه من المطر . وجعل مركز قمة الكدس في التسقيف اعلى من الجوانب بحيث يسيل المطر ويتضاءل في الافارير ، كما هو الحال في سقف البيت
«والان لنضع اللمسه الاخيرة !» قال القشاش وراقبه الاطفال . لف بعض القش الى بعضه وبدء يصنع شيئاً في اعلى نقطة في الكدس وفي الوسط منه ، ورأى الاطفال في ذلك تاجاً .

قال بيل «ان اتى احد يوماً الى هنا فسيعرف انني انا الذي بنيت وسقفت هذا الكدس ، لان التاج في القمة هو علامتي .»
وقالت بيني متعجبة «يبدو جميلاً ، انه كدس سمين كبير ، وله رائحة زكية . كم ستحب الحيوانات ان تأكل من التبن ، الذي فيه ، حين يقطع في الشتاء من الكدس الكبير !»
لقد انتهى موسم صنع القش حين بني آخر كدس وانتهى . وانتصبت حينئذ ثلاثة اكوام في ساحة التكديس وسر لذلك المزارع ورجاله .
فكروا بالعلف الجيد لحيواناتهم في موسم الشتاء . واحب الاطفال الاكداس ايضاً ، وتذكروا العشب المتموج في الريح

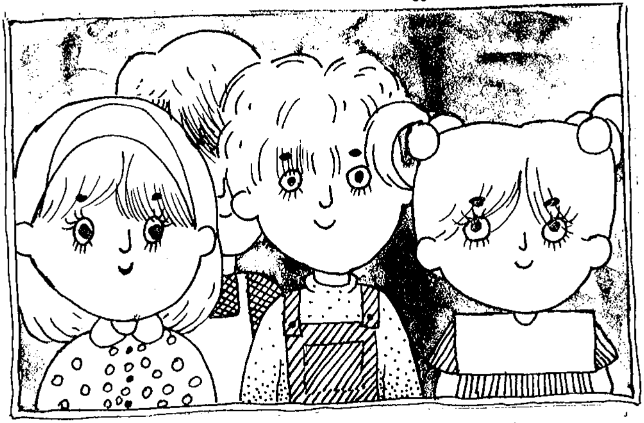
والذي صار الان اكداساً ثابتة فوق ارض المزرعة .

وقالت بيني «يؤسفني انتهاء زمن صنع القش .

فقد كان ذلك مثيراً حقاً . وانا متأكدة ان ليس هناك ماهو مثير الى هذا الحد في مزرعة الصفصاف هذا العام .»

وقال روري «انتظري موسم الحصاد ! ذلك هو الحادث الاعظم خلال العام ! اذن يابيني !»

الفصل الحادي والعشرون



مهرجان الحصاد

كان الصيف رائعاً ودافئاً في ذلك العام . وشب الاطفال وهم اكثر سمرة ، وامتلأ جسم بيني حتى قال عنها روري بأنها ستحسب بالتأكيد في يوم ما نفسها احدى الخنزيرات !
نما كل شيء ، كما فعل الاطفال ، فالقمح والبرسيم كانا قويين ثابتين ، وكان منظر حقول البطاطا ماتشتهي رؤيته ، والغلات الاخر تبدو كلها سليمة حسنة النمو .

قال العم تيم في احد الايام حين زارهم «حسناً ، قد يكون الامر حسن طالع مبتدىء ، ولكن مزرعتكم منتعشة حقاً هذه السنة ! فهي تغل محصولاً احسن من محصولي . ولدي

اربع بقرات مريضات بمرض غير معروف . وقمحي ضعيف جداً .»

فقال المزارع «حسناً ، لقد كان الاطفال عوناً عظيماً ، تباركوا ، فشيلا تدير الدواجن بأعجاب ، ولتساعدني الملبنة ايضاً ، وبيني الصغيرة ، تعتني بالعجول كما يمكن ان يفعل جيم او بيل ، اما عن ولدي ، فأنا لاعرف ماذا أفعل من دونهما فهما يعنيان بالخيول ويعملان في الحقول بنشاط كالآخرين .»

قال العم تيم «حسناً ، تحتاج الى جميع العون في موسم الحصاد . فعندك غلة جيدة من الحبوب ـ لاشك في ذلك ـ واقول صادقاً ، انك ستكسب مالاً في هذا العام ـ وتكون قادراً على شراء جميع الماكنات التي كنت ثواقاً اليها انا نفسي منذ سنين ! ايها الرجل المحظوظ !»

وحين كان الصيف في تمامه ، ذهب المزارع ليشاهد حقول قمحه ومعه الاطفال حيث راحوا ينظرون بمتعة .

فقالت شيلا «الغله في لونها الذهبي الجميل ! وأود ان اراها تثنى وتتماوج بنفسها حين تهب الرياح .»

وقالت بيني «احب الاصوات الهامسة المنبعثة منها ، وتبدو لي دائماً كما لو ان كل سويقة قمح تهمس الى الاخرين المجاورة بسر وتلك تصغي بسنبلتها .»

ضحك الجميع وقال روري «ايتها الحمقاء ، ان سنبلة القمح لاتسمح .»

وقالت بيني «حسناً ، السنابل دائماً تنحني الواحدة للاخرى كما لو انها تتسمع .»

وقالت شيلا «في البدء كانت الغله تشبه ضباباً اخضر فوق الحقل الاسمر . ثم تكاثفت واشتد اخضرارها وطالعت ، ثم الى حد انها تتماوج هي بذاتها وتبدو كأنها البحر . ثم طالت اكثر وتحولت الى هذا اللون الذهبي المحبب . هل هي ناضجة ياأبي ؟»

«نعم» قال الاب وهو يلتقط سنبلة قمح ويفركها بين كفيه . «ناضجة جداً ، وحاضرة للحصاد .»

وهنا سأل روري «كيف ستقوم بحصادها ؟ ابالمناجل ام بالمحشات ؟ ـ كنت اريد دائماً استعمال واحد منها ـ سوش ـ سوش ـ سوش ـ هذا والغلة تتساقط .»

قال ابوه «لاشك بان هذه هي الطريقة التي كانت تقص بها الغلة في هذا الحقل منذ سنين كثيرة .

ولاتزال تقص كذلك ، وانا ذاهب لاستعير ماكنة ـ حصاد عمك . انها من طراز قديم ، الا انها ستحصد حقولنا بشكل جيد . ثم اذا قدر لي ، فسأشتري في السنة القادمة ماكنة حديثة ـ واحدة تسمى الجرارة الحصادة الحازمة . انها

ماكنة عجيبة حقاً .»

سألت بيني متشوقة «متى ستبدأون الحصاد ؟

نحن في ايام عطلتنا الصيفية وبوسعنا ان نساعد .»

فقال ابوها «سنبدأه في هذا الاسبوع ، سأهتف الى العم يتم هذه الليلة وأرى ان كان يقدر على اعارتنا ماكنته ، انه لن يكون قائماً بالحصاد الان لان غلته متأخرة عن غلتنا هذه السنة .»

وكانت الاثارة التالية وصول ماكنة الحصاد التي جاءت تقرقع بين الازمة يجرها حصانان اثنان من جياد العم تيم ومن اقواها وقد نزع روري عنها السرجين ، وعاد بهما الى مزرعة شجرة الكرز السائق ، الذي صاحب مجيء الحاصدة .

نظر الاطفال الى الحصادة ، فأوضح لهم جيم قائلاً «هل ترون هذا القضيب المعدني الطويل المرتفع بوصات عن الارض ؟ انه قضيب القطع . انظروا الى اسنانه الفولاذية ، ثم انظروا الى هذا القضيب ـ انه قضيب السكين ـ وانظروا الى السكاكين الحادة المزود بها . والان حين تسير الحاصدة فان السكاكين تمر بين اسنان قضيب القطع ـ وتقص الغله كانما تجعلها مقصات كبيرة .»

وقال روري «اليس ذلك مهارة ؟ ماذا يحدث للمحصول حين

يقص بهذه الطريقة ؟ هل يسقط على الارض ؟»
فقال جيم «بل يسقط على هذه الطبلة الصغيرة ، اذ يجب ان يدم باليد من قبل الرجل الذي يجلس على المقعد هنا . وبعد يجمع المحصول المقصوص بوساطة الناس السائرين وراءه - وندعوهم «اللاقطون» ! لانهم يلقطون الغلية ثم يحزمونها حزماً .»

قال بينجي «انا اشتاق الى ارى الحاصدة تعمل .
فهل تبدأ هذا اليوم ياجيم ؟»

فقال جيم «الان بالضبط ، وانا ذاهب لاحضار دارلنك وبلوسوم لجرها . هلا تأتي بهما الي ياروري ؟
وسأتحدث الى ابيك عن اي الحقول نبدأ بحصدها .»

ذهب روري وبينجي متباهين لجلب الحصانين اللذين كانا في الحقل قريبين ، ينتظران ان يشرعا بالعمل .
وقادهما الصبيان نحو الحاصدة وشداهما اليها .
واخذت الحاصدة الى الحقل المتوهج بالحبوب الصفر ، وتجمع الاطفال حولها . واخذ جيم بسير اللجام يقود الحصانين بينما جلس جيم فوق ماكنة الحصاد وبيده المدم الخشبي . وبدأت الحاصدة ، والحصانات يجرانها بكل مالديهما من قوة .

كيف يسقط المحصول ؟ كان يقص باتقان وبسرعة كما لو انه

يقص بزوج مقصات كبيرة بيد رجل قد قام بقرض بقع كبيرة منه ـ وكان جيم يدفع الغله المقصوصة فتسقط على الطبلة الصغيرة او على لوحة سائلة فيتدفق بسرعة على الارض .
وكان يعمل وراء الحاصدة رجال من المزرعة آخرون ومعهم الام ـ وهارييت وفاني ايضاً . نعم ، كان على كل واحد ان يساعد في وقت الحصاد ، وكم كانوا يحبون ذلك ، ولو انه لم يكن عملاً سهلاً . ولكنه كان عملاً محبباً تحت اشعة الشمس الذهبية ، وهم يعملون سوية ، يضحكون ويتحدثون عن الغلة .
وراقب الاطفال ما كان اللاقطون يعملون حيث كانوا يجمعون الغله المقصوصة في شدات ويحزمون كل واحدة بخيط من القش .

وقالت بيني فجأة «لقد عملت شدة ، فنظر الاخرون ونأكدوا بأن الصغيرة فعلاً قد حزمت شدة من الغله بكل اتقان ومع بعض السويقات ، وتلك هي شدتها ، اصغر قليلاً من شدات اللاقطين الاخرين ، وكان ذلك صحيحاً الا انها كانت متقنة وقابلة للحفظ .
قالت الام «انتم الاخرون يمكنكم تجربة ايديكم في عمل الحزم . انها مهارة ، وكلما عملنا اكثر ، تحسن العمل

بالنسبة للغله . فهي اذا كانت في حزم فبوسعنا ان ننصبها اكداساً .

وهكـذا حاول جميـع الاطفال ان يعملـوا مـا كـان يفعلـه اللاقطون ، وفي الحال صاروا جيدين في جمع وحـزم الغله حزماً ـ ولو ان بيني كانت ابطأ من الاخرين .

وفي الحال عملوا مافيه الكفاية من الحزم ليجعلوا منها كدساً رائعاً .

وقال جيم وهو يمر بالحاصدة «ست عشرة حزمة في كل كدس . اجعلوا الاكداس متزاوجة ، متكئة الواحد على الاخر ـ ذلك صحيح ياروري . انظروا كم من الاكداس تستطيعـين ان تقيموا ايها الاطفال»

تعبت بيني من جمع الغله وحزمها ، فسمـح لها الاخـرون باقامة الحزم وجعلها اكداساً لهم وقد احبت ان تفعل ذلك . وقالت «الا تبدو الاكداس جميلة ؟» قـالت ذلك وهي تنجـر واحداً متقناً جداً . «ان هذا يشبه بناء قلاع على شـاطىء البحر .»

وهكذا استمر الحصاد والحزم طول النهار . وكان المزارع فرحاً بسير العمل .

وقال «في السنة القادمة ، حين اشترى حـازمة ذاتيـة فلن تعلموا مثل هذا العمل الكثير اذ ذاك .»

فسألت شيلا «ولماذا ؟ هل انهـا ستعمل اسرع ممـا تعمل حاصدتنا ؟

قال ابوها «اجل ، فهي لاتقص الغله فقط بل تجمعها حُزماً ، وتحكم ربط كل حزمـة بسلك قـوي وترمي كـل حزمـة الى الارض ، انها سحـر ! تسير وسط حقل الغله المتماوجة تاركة صفوفاً من الحزم وراءها ـ وكل ما عليكم ان تفعلوه في السنة القادمة هو التقاط الحُزَم ووضعها في اكداس جاهزة للنقل في العربة .»

وحين تم حصد كل محصول الحقول ووضع هادئاً سـاكناً بصفوف من الاكداس تحت شمس الغروب ، كان الجميع مسرورين .

جاء تاميلان ليشاهـد الحقول وأومـأ برأسـه حين شـاهد الاكداس البديعة ، وقال للمـزارع «انها غلـه جيدة ، كنت محظوظاً هذا العام : ولن يمر وقت طويل قبل ان تقدر على سَوق الغله الى ساحة التكديس ، لانها ستكـون جافـة على احسن وجه .»

دس الرجل المتوحش يده السمراء في وسط الحزمة القريبة وتحسس هنـا وهناك ثم سحب يـده وقال «الغلـه في اوان الخشخشة» ففضحكت بيني وسألته :

«لماذا تقول ذلك ، هل انها تثرثر ؟»

قال تاميلان «ضعي يدك في وسط الحزمة وستحسين كم هي هشة وخفيفة وجافة ـ فاذا انت حركت يدك هنا وهناك فستسمعين همساً ، صوتاً مثرثراً ـ اجل ـ الغله في اوان الثرثرة .»

تحرك تاميلان والمزارع يتبعهما الاطفال الاربعة الى الحزم الاخر هنا وهناك في الحقل وتحسسوها ليروا ماذا كانت الغله جاهزة للنقل .

وقال المزارع «سننقلها غداً ، انه طقس رائق ـ اقولها صادقاً ، ما اجمله من صيف مرر !»

وهكذا ارسلت العربات في اليوم الثاني الى حقول المحصول لنقل الغله . واخذ كل من جيم وبيل مذراته ووضعا الغله في العربات باحكام . كانت مراقبتها شيئاً جيداً لانهما كانا يعملان بيسر وبجودة .

وكانت كل حزمة تلتقط بشوكة ، وترتفع وترمى في العربة ـ ثم يفعل ذلك ثانية في حزمة اخرى .

وكان رجل اخر واقفاً في العربة لتنظيم الحزم في الداخل ، فهي ان لم تتكدس جيداً هناك ، فالشيء كله قد يتداعى حين تبدأ العربة بالحركة .

كان عملاً سهلاً حين كانت العربة فارغة من الغله الا قليلاً ـ ولكنها وقد امتلأت والحزم تصاعد بنيانها في العربة اعلى

فيعلى ، فقد كان على جيم وبيل ان يرميا بقوة اكبر وفوق رأسيهما تماماً . وفي الحال اخذت العربة تصر من ثقل الغله التي احكم بنيانها فيها ، ولايمكن ان تتداعى .

ثم صاح جيم ، «تعال يابينجي ، فالعربة جاهزة ، وبامكانك اخذها الى ساحة التكديس .»

جرى بينجي وروري نحو الخيول المشدودة الى العربة المحملة . وتسلقت شيلا وبيني وصعدتا فوق الحمل .

لم يكن الحمل ناعماً كما كان حمل القش ، ولكنه كان ساراً للجلوس عليه والعربة تصر وتقعقع بطيئة في الازقة .

والتقطت الحزم بالمذاري من على العربة الى ساحة التكديس ، جاهزة لان تبنى اكداساً ـ ثم عادت العربة الى حقل الغله فارغة يجرها الحصانات ، ولكن العربة الثانية في هذا الوقت كانت قد ملئت بحزم الغله بوساطات الرجل ، وكان على روري وبينجي ان يفكا سرجي الحصانين ويأخذاهما الى العربة الثانية ليوصلاها الى ساحة التكديس تاركين العربة الاولى في الحقل لتملأ ثانية .

لقد كان أنساً ممتازاً حين عادت الفتاتان الى البيت راكبتين فوق الغله ، عالياً في الهواء . فشاهدتهما امهما ابتسمت .

«مهرجان الحصاد قالت حين ارسلت آخر حمولة بسلام

«يامهرجان الحصاد . تعال وستجد عشاء مهرجان حصاد خاصاً ، فأنا واثقة من انكم جياع وتستحقونه بجدارة .»

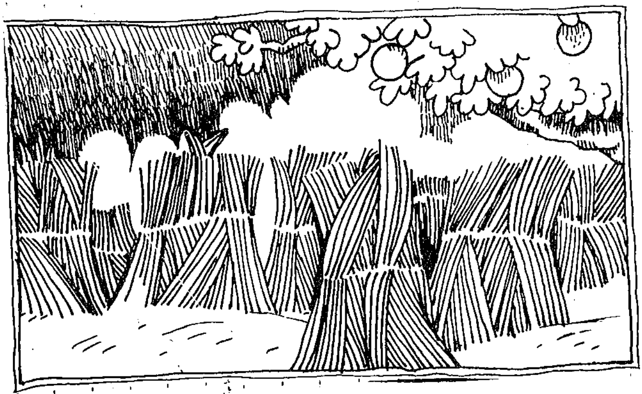
وهكذا دخلوا ـ ودخل رجال المزرعة ايضـاً ، تعبين ولكنهم سعداء لان الحصاد قد تم بسلام .

وما اكثر مااكلوا وشربوا . لانهم كانوا جائعين وعطاشى وتعبين .

غط الاطفال بالنوم حالما لامست رؤوسهم الوسائد ليلاً . وقالت شيلا لبيني وهي تطبق جفنيها :

«مهرجان الحصاد ! اجمل ايام السنة كلها !»

الفصل الثاني والعشرون



الصيف ينصرم

اقام جيم وبيل للغلة اكداساً مليئة ، وساعدهم الاطفال طبعاً ! فلا يمكن لشيء في المزرعة ان يتم دون مساعدتهم» هكذا قال جيم .

كان من المتعة مشاهدة الرجال يبنون اكداس الغله ، بدأوا اولاً الكدس ، يرتبون الحُزم باحكام في الشكل الصحيح للكدس وبعد ذلك وقف بيل في الوسط يمسك بالحزم التي كان جيم يرفعها بالشوكة اليه حيث يوقفها منتصبة في حلقة ، ولكن حين يكون العمل في الجوانب فهو ينصبها منحرفة الى ان تطرح طرحاً لدى الحافة .

بعد ذلك ركع بيل منحنياً فوق عملـه هو وجيم معـاً وجعلا الكدس يعلو ويعلو .

وقال بيل «يا اطفال ـ هل تعتقدون بأن في وسعكم بناء كدس بسهولة تامة ؟»

فقال روري متشككاً «كلا ، يبدو بالاحرى صعباً . عليك ان تضع الحزم هكذا تماماً ـ النهايات الى الاسفل وبميل معين ـ هل تعلم يابيل انك جعلت مـركز الكـدس اعلى من الحـافة الخارجية ؟»

قال جيم «أوه ، نعم ، انا افعل ذلك لغاية . ولو لم افعل ذلك فأن المطر سينفذ الى الداخل حين يرص الكدس .»

جعل جيم وبيل رأس الكدس نقطة وحزماً القمة جيداً الحزمة الى الاخرى .

وسألت بيني «هل انتهى العمل الان ؟»

فقال بيل «كلا ، يجب ان تستقف وتحزم ولن ينتهي عملنا الا بعد زمن !»

سقف بيل الكدس باحكام تماماً كمـا كان قـد فعل في بيت المزرعة ذاته . بدأ بالافاريز وصعد يعمل الى القمة . وكان جيم يناوله ماء من حين لآخر لترطيب القش ، لانه كان جافاً لايمكن العمل به بارتياح .

كان يضرب التسقيف نحو الاسفل بعصا حين كان يعمل ثم في

الحال بدأ الكدس يبدو متقناً حقاً .

ثم حزم هو وجيم الكدس ، لفاه اولا بحبل تحت الافاريز تماماً ، ثم حبلاً باحكام حول اعلى الكدس واداراه لفاً ولفاً باسلوب مذهل غريب ثم ربطاه بالحبل الموجود في الاسفل حول الافاريز .

قال بينجي معجباً .. يبدو الكدس انيقاً محبباً وانا واثق ان المطر لن ينفذ اليه .»

قال بيل «لن ينفذ ، وسنعالج الكدس الثاني .»

قالت بينجي بخيبة امل «الست واضعاً تاجك القشي الجميل في اعلى الكدس ؟

قال بيل «لا وقت لهذا الان ، فعلي ان ابدأ في الكدس الثاني ـ ولكن حين يكون لدى متسع من الوقت ليلاً ، فساضع علامتي على كل كدس ، يابيني !

وسترين التيجان الذهبية في اعلى كل واحد .»

حافظ بيل على وعده ، وحين انتهى العمل في جميع الاكداس وانتصبت صلبة ذهبية في ساحة التكديس وضع بيل علامته عليها ـ تاجاً متقناً من قش مفتول في قمة الكدس تماماً !

فقالت بيني «اود ان افعل ذلك جميل ان تضع اسمك على كدس بديع كهذا !»

وقال بيل «لا اضع علامتي على كدس لم اقم بعمله على الوجه

الاكمل» وكان قد شذب اكداسه بمقصه وصار فخوراً حقاً .
كانت دجاجات شيلا في هياج لتركها حره في ساحة التكديس بعد ان تم فيها العمل . حيث يوجد حبٌ كثير هناك يمكنها التقاطه ، وحبوب كثيرة للنبش عنها . وملأ الدجاج الجو بصخب عال وصارت على واحدة تبيض بيضاً اكثر مما كانت تفعل من قبل .
«الحب الجيد يجعل الدجاج يبيض احسن» قالت فاني وكانت تعد البيض وتدخله في السجل .
وكانت عجول بيني كبيرة الان . وهي في الحقل مع الابقار تتمتع بوقت رائع هناك ، يطارد الواحد الاخر وتنطح احياناً برؤوسها البقرات الرزينات ، وكانت على الدوام تأتي جرياً حين ترى بيني التي كانت بها مولعة .

وكبر النطاط ، وشب خروفاً صغيراً ! لم يعد الان عابثاً بل يرى نفسه ذا اهمية وبالغا ، وقد قال جيم ان من الخيرله الان ان يذهب الى حقل الاغنام ، ولذلك تخلت عنه بيني وهي كئيبة .
وقالت «كان جميلاً ان يتبعني الى كل مكان . كان عزيزاً» حين كان حملاً نطاطاً يتغذى من رضاعة ، ان الحيوانات تكبر بسرعة اكثر مما يكبر الاطفال . لماذا كبروا هكذا خلال اشهر قليلة ، ومع ذلك فأنا ابدو وكأنني ما ازال صغيرة ومنذ

دهور ، ما اسعد حظ الحيوانات !»

وقال تاميلان «لاتصدقي ذلك ، من الخير ان تظلي صغيرة لمدة طويلة ، بوسعك اذن ان تتعلمي اكثر !»

الا ان الاطفال لم يوافقوا على ذلك ابداً فقد كانوا يظنون ان من الاجمل ان تكون مثل الحيوانات وان لاتتعلم دروساً كثيرة كهذه .

وبالرغم من أن النطاط الان شاة في منظره ، فقد كان يبحث عن بيني حين كانت تأتي ، وكان يثغو مرحاً ويجري نحوها ، منقافزاً حولها بسلوكه المرح القديم وكانت بيني مسرورة انه مايزال يتذكرها .

قالت لدافي «ولكن يحزنني التفكير بأنه سيكون مثل هذه الشياه في السنة القادمة ، بحيث لا اميزه وسافتقد حينئذ نطاطي الصغير العزيز»

فقال دافي بارتياح «كلا ، لن تفقديه يا توبيني ، اتعرفين لماذا ؟»

سألته بيني «لا ، لماذا ؟»

قال دافي وهو يبتسم لها «حسناً ، لان سيكون لديك حِملان حديثة الولادة اكثر تعنين بها وساعطيك واحداً او اثنين لتربيهما لي ، لانك ماهرة في هذا الشأن ، لذلك لاتتأ وهي ولاتحزني على الربيع الماضي ، وعلى النطاط ، ولكن انظري الى

الامام ، الى الربيـــع القادم والحمــلان الجديـدة لتغذيهـا بالرضاعة .»

فقالت بيني فرحة «أوه ، سأفعل ، تلك فكرة حسنة يادافي اذ الاحسن ان تنظر الى الامام من ان تنظر الى الوراء .»

قال دافي الشيخ «هذا احسن ما في الحياة المزرعية . فنحن عـلى الدوام ننظـر الى الامام ونحلم كيف ستكـون غلتنا ـ مؤملين ان مخلوقاتنا الصغيرة ستكون صالحة ، ومخططين لجميع الاشكال والاشياء .»

كان الاطفال الاربعة قد احبوا اشهر الصيف وبخاصة حين نضجت الفاكهة حيث ساعدوا في جني الفاكهة ، واكلت بيني كثيراً من الخوخ بحيث مرضت يوماً او يومين .

وكان جني التفاح اهم جني فاكهة في مزرعة الصفصاف . فقد كانت في البستان اشجار تفاح ممتازة ، تحمل حملاً جيداً ولو لم يكن كما هو عليه الحال فيما مضى في بعض الاحيان .

وقال جيم «لقد حملت حملاً مدهشاً في العام الماضي . ولا ينتظر ان تحمل الاشجار حملاً جيداً سنتين متتاليتين . ولكن لديكم الكثير لتأكلوا ، والكثير لتخزنوا في علبة التفاح للشتاء ، والكثير لتبيعوا»

وشعـر الاطفال بـان عليهم بالتـأكيد القيـام بجني التفاح بأنفسهم : ولم يكن البستان فسيحـاً . وكان الـوقت وقت

عطلة ، ولذا قال الولدان انهما سيقضيان اسبوعاً مع اشجار التفاح جنياً وخزناً .

وقالت شيلا في الحال «ونحن نقدر ان نساعد ايضاً ، فانتما تتسلقان الاشجار ، وانا وبيني سنكون تحت لنتناول منكما التفاح .»

وقال المزارع ان بوسع الاطفال الاربعة ان يجنوا التفاح «ولكن تذكروا جيداً ان السر في وجود فاكهة جيدة نظيفة لاتفسد هو انها لا تخدش .

هل ستتذكرون هذا ؟ امسكوا التفاح بلطف واذا سقطت اية واحدة منها فضعوها الى جانب ليمكننا اكلها اولاً . لا اريد خزن واحدة قد تفسد»

تذكر الاطفال نصيحته فقد كان الولدان يقطفان بعناية وهما واقفان على السلالم ، ويضعان الفاكهة في سلال كبيرة معلقة بالاغصان بكلاليب .

وحين تمتلىء السلال ، كانت الفتاتان تنزلهما الى الارض . وتروح شيلا وبيني تنقيان التفاح بعناية . وتضعان مانقره الطير ومالسعه النحل في جهة لتستعمله هارييت في المستقبل القريب . كما كانتا تضعان كل الذي يسقطه الصبيان في جهة اخرى ايضاً .

وقالت شيلا وهي تنظر الى كومة من التفاح الناعم الاحمر

الجميل .» هذه هي التفاحات السالمة جداً .
يجب ان نأخذها في السلال الى العلية ، ونضعها هناك بعناية يابيني . أوه ..لقد اسقطت واحدة باذات الاصابع الزبدية .
هذه يجب ان اوضع مع كومة المخدوش .
وفي الحال كانت عليه التفاح تنشر اريجاً حلواً . وكانت الفتاتان تضعان التفاح بعناية تامة وفي صفوف طويلة .
قالت شيلا «بيني ، لاتدعيها تلامس الواحدة الاخرى اذا استطعت ، فأن فعلت فان تفاحة رديئة واحد تفسد سائر التفاح»

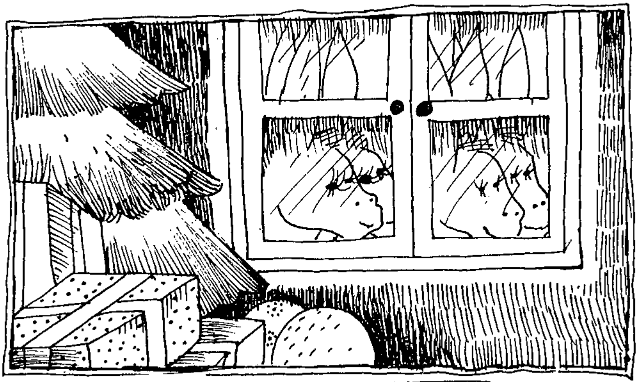
جاء ابوهم ليرى عملهم وكان في غاية السرور ، حيث قال «انتم متقنون ومرتبون . وما احسن ما ميزتم بين التفاح الجيد والتفاح المخدوش ، سيكون عندنا في مايس القادم فطائر من تفاح بهذه العدل ، لان التفاح سيحافظ على جماليته .»

وهكذا اشتعل الاطفال باندفاع في جني التفاح وخزنة .
وسمح لهم بتناول اي مقدار يحبون منه .
اكلت بيني كثيراً بحيث قال الاخرون انها ستتحول الى تفاحة هي نفسها فقد قال لها روري بجديه «خداك يشبهان تفاحتين ورديتين»

وحـين ذهبت بيني لتـرى نفسهـا في المـرآة ، رأت خـدين منتفختين ، حمراوين كالتفاح الذي التقطته .

«أوه ، ياآلهي ، ينبغي علي ان اكون حذرة»

وهكذا لم تأكل بيني المسكينة تفاحاً كثيراً كما كانت تفعل ، ولكن مع ذلك ، فان ست تفاحات اوسبع كافية تمـاماً لاي واحد ، وهذا هو عدد الذي كانت تتناوله بين كل يوم !



حظ سعيد لمزرعة الصفصاف

انصرمت السنة وجاء ايلول وبدأت الدوروس ثانية وقد جمعت كل المحاصيل وخزنت . وحصدت البطاطا وسر بها المزارع .

ولم يكن البنجر جيداً لان كثير من البذور لم تنجم ولكن المزارع قال ان ذلك كان شيئاً طبيعياً بالنسبة للبنجر .

«يجب ان ندخلها قبل نزول الصقيع» قال ذلك حين حل الخريف . وهكذا جمعت درنات البنجر وخزنت في اوجار وغطيت بالتراب والقش .

«ستفرح الماشية والاغنام بهذا وقت الشتاء»





كـانت الحبوب تسقط في نـوع آخر من المكـائن تـدعى «المذارة» حيث كانت قشور الحنطة تنفخ بعيدة عن الحبوب . بعد ذلك تسقط الحبوب في اكياس يمسك بها المزارع نفسه جاهزة لتملأ . وكان مسروراً ان يرى هذا الحب الاصفر يملأ اكياسه .

وحالما يمتلىء كيس يطرحه جانباً ويضع آخـر فارغـاً محله ليملأه . وساعده في ذلك روري وبينجي ، فقد كان العمل متعة كبيرة لهما .

انهـار القش متراخيـاً فكـدس في السقيفـة . وقـال روري «سيكون فراشاً وثيراً للماشية في الشتاء»

وقال جيم «نعم ، وسنقطعه علفاً لها . لاشيء كثيراً يهدر من الغله .»

وسألت شيلا «وماذا عن قشور حبوب القمح»

قالت ذلك حين رأت القشور تكيس ايضاً .

فقال بيل «آه ، ستستعمل زوجتي بعضاً من هذا ، فمراتبنا تملأ بالقشور كما تعلمين ، ونحن نحب ان تكون فيها قشور جديدة في كل عام وسيكون لنا فراش وثير الان»

قال بينجي «ما اكثر فوائد الحبوب ، فالحنطة لعمل الطحين ، والقش غذاء وفراش للحيوانات وللتسقيف . وقشور القمح للمراتب .»

طيلة ذلك اليوم والذي تلاه ، كانت الدرّاسة تدور في المزرعة ، كما فعلت في ساحة التكديس .

وفي الحال صارت جميع سنابل المزارع قمحاً وتبناً وقشور سنابل ، وامتلأ المزارع هو ورجاله زهواً بالاكياس الممتلئة . وقال المزارع وهو يغمس اصابعه في كيس مليء ويجعل الحبات تتقاطر منها «انه حصاد طيب وقد جادت علينا حقولنا هذا العام .»

وحين قعقعت الدراسة ثانية في الازقة خارجاً ، تسحبها الجرارة الثقيلة . كان الجو قد تغير من بارد مشمس الى رطب معتم . واخفى الضباب الممطر الريف ، ولم يعد الاطفال قادرين على الذهاب الى دروسهم عبر الحقول : بل كان عليهم ان يسلكوا دروب الازقة والطريق الرئيس . وكان هذا اطول مما سبق لهم ، ولذا كان عليهم ان يبدأوا سيرهم اكثر تبكيراً وان يعودوا متأخرين .

كانت بيني تعبة ، وما كانت تود ان تبذل كل هذا الجهد ماشية في طقس رديء وقد فرحت حين حلت ايام عطلة عيد الميلاد ، وماعاد عليها ان تنهض باكراً وان تسير الى المدرسة اميالاً . وقال ابوهم في احد الايام . الاتظنين ان من الاحسن ان نرسل الاطفال الى مدرسة داخلية . فهم لايستطيعون قطع كل هذا الطريق طيلة ايام الشتاء . فالتعب يبدو على بيني ،

وليس من الممكن توفير حصان وعربة اربع مرات يومياً .
واحسب ان من الاحسن ان يذهبوا الى الخارج من اجل
المدرسة .»
وحين سمع الاطفال بتلك الفكـرة ارتعبوا . وصـاح رودي
«ماذا ! انترك مزرعة الصفصاف لمدة تسعة اشهر في كـل
سنة ، في الوقت الذي بدأ فيها كل شيء يزهو ويثيرنا كيف تفكر
بمثل هذا الرأي ياأبي ؟»
وصار الاطفال الاربعة قلقين حول هذه الفكرة بحيث قصدوا
تاميلان ليخبروه . كان الوقت هو اليوم الخامس قبـل عيد
الميلاد . وساروا في الحقول الرطبة ووصلوا الى كهفه . وكان
قد هجر بيت ـ الشجرة ـ طبعاً ، فهو يعيش الان في الكهف
بارتياح ـ وكان صديقه الارنب معه كالعادة .
«هلو !» صاح الاطفال وركضوا لملاقاة صديقهم «كيف حالك
ياتاميلان ، لم نرك منذ قرون»

فحكى لهم تاميلان عن شؤونه ثم سألهم عن شؤنهم .
فقال رودي «لدينا اخبار سيئة ياتاميلان ، هل تدري بأن امنا
وابانا يفكران حقيقياً بأن يرسلانا الى مدرسة داخلية ، لان
طريقنا الى المدرسة هنا قد اصبح طويلاً مع حلول الشتاء ولم
يعد في وسعنا اجتياز الحقول المبتله .»
فقـال الـرجـل المتـوحش «آه ، سيكـون ذلـك بغيضـاً ،

وسأفتقدكم وانه لشيء رهيب !»

وقالت بيني وهي تأخذ بيده «تكلم مع ابي وامي ، ياتاميلان حول هذه المسألة» وكانت تظن ان تاميلان يمكنه ان يفعل اي شيء . وما كانت تحتمل فكرة الابتعاد عن مزرعة الصفاف من اجل الذهاب الى المدرسة . ماذا ! هل ستترك العجول والنطاط ـ ولن يكون لها حملان جدد تطعمهم في الربيع ـ ولاترى الكتاكيت والبطيطات الجديدة ! لقد كان مجرد التفكير في ذلك شيئاً بغيضاً !

قال تاميلان «حسناً ، انا ذاهب غداً الى مزرعة الصفصاف ومعي شيء لابيكم وسأتكلم معه ، ولكني لااظن ان ماساقوله سيغير من رأيه ، وبعد كل هذا فهو طريق طويل بالنسبة لكم ولابد لكم ان تقطعوه وبخاصة بالنسبة لبيني الصغيرة .»

كان الاطفال قد ذهبوا للتسوق من اجل عيد الميلاد حين جاء تاميلان الى المزرعة في اليوم التالي ، ولذا لم يروه او يسمعوا ان كان قد قال شيئاً ما لابيهم وكانوا في الحقيقة فرحين بتسوقهم حتى انهم نسوا قلقهم حول الذهاب الى المدرسة بعد ايام الميلاد .

وسألت بيني «هل سيأتي تاميلان في ايام عيد الميلاد ؟ اطلبي منه ياأمي .»

فقالت امها «انه آت ، وسيكون هنا بعد الافطار» وهل فجر

عيد الميلاد بارداً ومشمساً وبراقاً .
واستيقظ الاطفال مبكرين ووجدوا اكياس هداياهم مليئة بكل مايثيرهم . وكان حتى لروري وشيلا . اكياسهم . فهو اليوم الوحيد في السنة الذي يحسان فيه بانهما طفلان مثل بيني ولذلك طلبا لها اكياساً .
وكانت الام قد اعطت كل واحد منهم ساعة وكان لروري وشيلا ساعاتهما من قبل ولكن روري اضاعها وشيلا كسرتها ، والان لدى كل منهم ساعة فضية دقيقة . مما افرحهما حين وضعاهما في رسغيهما .
وبعدها ذهب الاطفال الى المطبخ واعطوا هارييت وفاني هداياهم . وقد سرت فاني كثيراً بهداياها الكثيرة .
واشرق وجهها جذلاً وفتحت رزمها فوجدت قلم رصاص انيقاً من روري ، وكتاباً من شيلا وكشتباناً من بينجي وبعض الحلوى من بيني .

وقالت شيلا «وانا اقدم شكري يافاني لمساعدتك لي بالدجاج ، الا يكون ممتعاً ان تكون لدينا كتاكيت جديدة في الربيع !»
وترك الاطفال المطبخ ، وقال روري شيئاً لم يكن ليخطر في بال كل واحد منهم .
«كم هو مثير للضحك ، كل واحد اعطانا هدية الا الاب !»

فسمعه ابوه وابتسم وقال «ستأتي هديتي في الحال+. لم اجد في اكياسكم مكاناً لها . انظروا من النافذة وستشاهدونها قادمة في الحال .»

ضج الاطفال بالفرح وجروا نحو النافذة وماكانوا يتخيلون ما سيعطيهم ابوهم .

ولكنهم وجدوا ذلك في الحال - ظهر تاميلان ولكنه لم يكن وحده بل كان معه اربعة من الحمير الرمادية ، ممتلئة ونشيطة ،لم يصدق الاطفال عيونهم وصاح روري .. ابي ، هل هذه الحمير هديتك ؟ وواحد لكل منا ؟«

فقال ابوهم مبتسماً «اجل . واحد لكل منكم . لقد جاءني تاميلان امس ورجائي حاراً ان ابقيكم في مزرعة الصفصاف بدلاً من ان تذهبوا الى المدرسة الداخلية - واقترح علي اعطائكم حماراً واحداً لكل منكم ،ليمتطيه في الحقول ،لكي تبقوا هنا ، وفكرنا انا وامكم في الامر فوجدناه امراً صائباً ، وقد قال تاميلان انه سيذهب الى السوق ويشتري الحمير هدية لكم في عيد الميلاد .وكان يعرف واحداً عرض ستة حمير للبيع فاختار منها اربعة وها هي ذي»

هرع الاطفال نحو الباب واندفعوا نحو تاميلان ، وكانوا فرحين ومهتاجين بحيث لم يقولوا له عيد سعيد ياتاميلان .

فصرخ روري «ايّها حماري ، آه ، اليست كلها جميلة ؟»

فأعطى تاميلان كل طفل حماراً ، وكان اكبراهما من حظ الولدين والاخريان للبنتين . وامتطى كل منهم حماره في الحال وطاردوا في ارجاء المزرعة . وكانوا جذلين بحيث كانوا يغنون وهم يجرون .

غنى الجميع : «والان ، لانترك مزرعة الصفصاف ، مزرعة الصفصاف ، مزرعة الصفصاف . سيري ايتها الحمير ، سيري . ماامتع ما سيكون عليه حياتك هنا !»

راقبهم الوالدن ومعهما تاميلان ، وهم يضحكون لرؤية الاطفال يطاردون هنا وهناك .

وحين عادوا في الاخير ، تكلم الاب معهم وقال .

«لقد قمتم جميعاً بالعمل هذا العام على احسن وجه ، وكنتم عوناً حقيقياً لنا . لم تتذمروا ، ولم تشتكوا بل كنتم سعداء فرحين . وقد ساعدتم لتجعلوا من مزرعتنا مزرعة عظيمة النجاح . ولذلك من العدل ان تشاركوا بحظ من هذا النجاح . لهذا صرفت قسماً من واردات المزرعة عن كل واحد منكم . والان ماذا ستسمون حميركم ؟

فقال روري «سيكون اسم حماري «كندي»

وقال بينجي «حماري سيكون اسمه «شيري»

وقالت شيلا «حماري «كانتر»

وحماري اسمه هي ... هـو ، وحين قـالت بيني ذلك رفـع حماري رأسه ونهق بصوت منكر «هي ..هو» «هي ..هو !..» وقالت بيني ضاحكة «ها هو ذا ينطق لي باسمه ، ما امتع هذه الهدية يا أبي وما اجمل التفكير بأننا لن نذهب الى المدرسة الان .

ما ابدع الامر ، وما امتع الذهاب الى الدروس على اربعة حمير رمادية كل صباح وكل بعد ظهر !»

هناك سنتركهم جميعاً ، يطاردون بجذل فوق حقول مزرعة الصفصاف . وقالت بيني «أوه ، عجباً ماذا سيحدث في العام القادم - يوجد على الدوام شيء جديد مثير في المزرعة . وانا متأكدة بأن المتعة في السنة القادمة ستكون اكثر منها هذا العام .»

ولكن لهذا طبعاً حكاية اخرى

وزارة الثقافة والاعلام
دار ثقافة الاطفال
قسم النشر
سلسلة روايات عالمية للفتيان

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٦٠٧) لسنة ١٩٩٠.

السعر ٦٥٠ فلساً
دار الحرية للطباعة ـ بغداد